الباب الأول

الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر

مدخل:

لقد تعارف علماء اللغة على تصنيف الظواهر اللغوية إلى عدة مستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي أو التركيبي، والمستوى الدلالي.

وعند دراسة هذه الظواهر، فإنهم يبدءون بدراسة الأصوات وما تستلزمه هذه الدراسة من معرفة جهاز النطق ومخارج الحروف وصفاتها، ثم يدرسون الكلمة المفردة بغض النظر عن موضعها في الجملة أو علاقتها بما قبلها أو بما بعدها، وهو ما يسمى بالدراسات الصرفية، ثم يدرسون الجملة أو التركيب بحيث يدرسون الكلمة في إطار الجملة وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها من حيث التأثير والتأثر، وهو ما يسمى بالدراسات النحوية، وفي هذا المنهج تدرج من الجزء إلى الكل، فهم يدرسون جزء الكلمة وهو الصوت أولًا، ثم الكلمة، ثم الجملة مخالفين في ذلك منهج القدماء الذين كانوا يبدءون بالنحو ثم الصرف ثم الأصوات، وعلى كل فلكل منهج وجهه ومنطقه.

وسوف أدرس الظواهر اللغوية في قراءة ابن عامر متبعًا المنهج الحديث في تصنيفها، فأبدأ بدراسة الظواهر الصوتية، وليست دراسة الأصوات من ابتداع علم اللغة الحديث، بل تناولها العرب قديمًا وسبقوا غيرهم إلى دراستها. يقول المستشرق «برجشتراسر»: ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند -يعني البراهمة- والعرب، وأول من وضع هذا العلم من العرب الخليل بن

أحمد المتوفى سنة سبع وسبعين ومائة هجرية أو سنة ثمانين ومائة هجرية. وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءًا من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم(١).

وإذا كان الخليل وسيبويه قد وضعا أصول الدراسات الصوتية، فإنها قد نضجت إلى حد كبير على يد أبي الفتح بن جني، وكتابه «سر صناعة الإعراب» أوضح دليل على ذلك، ويكفي ابن جني من فخر أنه جمع الدراسات الصوتية التي نشأت ضئيلة عند الخليل وسيبويه ومن تبعهما، متأثرة بما كان للهنود في الأصوات من دراسات قديمة تتابع عليها مؤلفو العرب من بصريين وكوفيين، نحويين وقارئين للقرآن وفلاسفة، حتى وصلت على يد ابن جني إلى هذا القدر الذي يحويه سر صناعة الإعراب(٢).

والحق عندي أن قراء القرآن الكريم لهم الفضل في نمو هذا العلم، فلم يأتِ الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما بأصول هذا العلم من فراغ أو من تأثرهم بالهنود فقط، بل إن الذي لفت أنظارهم إلى البحث عن معرفة مخارج الحروف وصفاتها حرص القراء على الأداء الجيد للقرآن الكريم وحرصهم على المد والغن والإدغام والإمالة إلى غير ذلك من المظاهر الصوتية عند تلاوة القرآن. كل ذلك كان مجالًا فسيحًا للملاحظات وتدقيق النظر من جانب اللغويين.

ومعلوم أن القراءات تمثل بدقة النطق العربي للنص القرآني على عهد النبي لأصوات اللغة العربية، فقد كان القراء يقرءون كلام الله تعالى، وينطقون أصواته وألفاظه بالطريقة التي سمعوها من مقرئيهم مشافهة، ويمتد هذا الاستماع والتناقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التطور النحوي للغة العربية، ص٥.

(٢) مقدمة سر صناعة الإعراب (١/ ١٣).

وفيما يلي أتتبع الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر بالدراسة والتحليل مع ربط ذلك كله بما قاله علماء اللغة المحدثون، ولا أريد أن أصنف هذه الموضوعات كما جاءت في كتب القراءات، ولكن أصنفها تصنيفًا يتلاءم إلى حد ما مع قضايا البحث الصوتي وموضوعاته. فأصنف ما جاء في قراءة ابن عامر من ظواهر صوتية حسب تصنيف الأصوات العربية، فقد اتفق علماء اللغة المحدثون على تقسيم الأصوات في العربية إلى قسمين:

الأول: الحركات، وتسمى بالحروف الصائتة أو المُصوِّتة. وتتمثل هذه الحركات في: الفتحة والكسرة والضمة سواء كانت الحركة قصيرة أم طويلة، وإن كان القدماء من علماء العربية يطلقون على الحركات الطويلة مصطلح «حروف المد واللين» وهي الألف والواو والياء المسبوقة بحركات مِن جنسها، فإن هذا لا يتعارض مع ما رآه علم اللغة الحديث، ولا فرق بينهما إلا في التسمية. ومما يدل على ذلك أن ابن جني يطلق على الحركات القصيرة: الفتحة والكسرة والضمة: أبعاض حروف المد: الألف والياء والواو. يقول ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة»[1].

الثاني: الأصوات الصامتة: وهي الحروف كلها في العربية باستثناء الألف والواو والياء المسبوقين بحركات من جنسها، لأن هذه الحروف ليست حروفًا في الحقيقة، وإنما هي إشباع لحركات قصيرة، كما تقدم.

(١) سر صناعة الأعراب لأبي الفتح بن جني (١/ ١٩).

الفصل الأول
الأصوات الصائتة

في هذا الفصل أتتبع الحركات في قراءة ابن عامر وما يتصل بالحركة من قضايا متعلقة بالقراءة.

ولا فرق في الحديث عن الحركة بين القصيرة والطويلة، إذ هما متفقتان في الخصائص النطقية، فقد حدد علماء اللغة مفهوم الحركة بأنه «الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرًّا طليقًا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقًا من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا»[1].

وانطلاقًا من هذا المفهوم، فإنني أحاول معالجة ما هو أقرب إلى الحركة مما جاء في قراءة ابن عامر من ظواهر صوتية، ولعل هذا يندرج تحته حركة هاء الكناية، والمد، والقصر، والفتح، والإمالة، وحركة التخلص من التقاء الساكنين، وإجراء الوصل مجرى الوقف.

هاء الكناية

يطلق مصطلح (هاء الكناية) في كتب القراءات على هاء الضمير الذي يعود على المفرد المذكر الغائب، وتسميته بالكناية مصطلح (كوفي) على حين يسميه البصريون

(١) علم اللغة العام «الأصوات» د/ كمال محمد بشر، ص٧٤، ط. دار المعارف، الطبعة الخامسة.

ضميرًا[١].

ولن أتناول هذه الهاء على أنها ضمير أو اسم، ولكن أتناولها من حيث كونها صوتًا. فهاء الكناية هنا صوت وقع موقع الاسم.

وخلاف القراء حول هذه الهاء ليس من جهة كونها ضميرًا أو غيره، ولكن من جهة حركتها من حيث إشباعها وعدم إشباعها، ومن حيث ضمها وكسرها.

ولهاء الكناية في القرآن أربع حالات:

الأولى: أن تقع بين ساكنين، وفي هذه الحالة لا تشبع حركتها بحيث يتولد منها واو أو ياء لجميع القراء، بل تحرك بكسرة قصيرة إن كان الساكن الذي قبلها ياء نحو قوله تعالى: ﴿ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾[٢]، فجميع القراء يكسرون الهاء في (عليه) ويرققون اللام في لفظ الجلالة بعدها إلا (حفصًا) عن عاصم فإنه يضم الهاء في (عليه) ويفخم اللام في لفظ الجلالة بعدها.

أما إن كان الساكن الذي قبل الهاء غير ياء فإنها تحرك بضمة قصيرة نحو قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾[٣] بسكون الميم وضم الهاء.

الثانية: أن تقع الهاء قبل ساكن وبعد متحرك نحو قوله تعالى: ﴿ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[٤] وفي هذه الحالة لا تشبع حركتها أيضًا لجميع القراء، بل تحرك بضمة قصيرة؛ لأن ما بعدها ساكن لا يتأتى معه إشباع الهاء.

الثالثة: أن تقع الهاء بين متحركين، وفي هذه الحالة تشبع حركتها لجميع القراء،

---

(١) الهمع (١/ ٥٦).
(٢) الفتح (١٠).
(٣) البقرة (١٩٧).
(٤) التوبة (٤٠).

ولكن إن كان ما قبلها مفتوحًا أو مضمومًا حُرِّكت بضمة طويلة حتى تتولد منها واو، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ ﴾[١] بإشباع ضمة الهاء في (له، صاحبه).

وإن كان ما قبلها مكسورًا حُرِّكت بكسرة طويلة حتى تتولد منها ياء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾[٢] بإشباع كسرة الهاء في (به).

الرابعة: أن تقع الهاء قبل متحرك وبعد ساكن، وفي هذه الحالة لا يشبع حركتها من القراء إلا ابن كثير ووافقه حفص في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[٣].

ويتبين من هذا أن ابن عامر يكسب الهاء من غير صلة؛ أي من غير إشباع إن كان الساكن الذي قبلها ياءً كما في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾[٤] وقوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ ويضم الهاء من غير إشباع إن كان الساكن الذي قبلها غير الياء كما في قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾[٦] فإن ابن عامر في هذا ونحوه لا يشبع حركة الهاء[٧]. والوجه في القصر -أي في عدم الإشباع- هو إرادة التخفيف[٨].

هذه هي الأصول العامة لمذاهب القراء في هاء الكناية، وقد خرجت عن هذه الأصول العامة مواضع محددة في القرآن اختلفت مذاهب القراء فيها، وفي تناولي لها

---

(١) الكهف (٣٧).
(٢) البقرة (٢٦).
(٣) الفرقان (٦٩).
(٤) البقرة (٢).
(٥) الكهف (٦٣).
(٦) آل عمران (٧).
(٧) النشر (١/ ٣٠٢)، والإرشادات الجلية (٢٤، ٢٥).
(٨) قلائد الفكر (٥).

سأضم كل موضع إلى نظيره في الحكم حسبما جاءت في كتب القراءات بغض النظر عن ترتيب سورها.

أولًا: ﴿ يُؤَدِّهِۦٓ ﴾، ﴿ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ ﴾[١]، ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾[٢]، ﴿ نوله ما تولى ونصله جهنم ﴾[٣]، ﴿ يتقه ﴾[٤]، ﴿ ألقه إليهم ﴾[٥].

فلهشام في هذه الكلمات الست ثلاثة أوجه: (الإسكان، والاختلاس، والصلة)، ولابن ذكوان وجهان: (الاختلاس، والصلة) مع كسر القاف في (يتقه) لكل من هشام وابن ذكوان[٦].

والمراد بقصر الهاء في هذه الكلمات النطق بها مكسورة كسرًا كاملًا من غير إشباع، وقد يعبر عن هذا القصر بالاختلاس، وضد القصر المد، والمراد به هنا الإشباع وهو النطق بالهاء مكسورة كسرًا كاملًا مع صلتها بياء؛ أي مدها بمقدار حركتين[٧].

والإسكان والاختلاس والإشباع ثلاث لغات في الهاء «أحسنها الإشباع؛ لأنه الأصل، وأضعفها كما يقول (ابن الأنباري) الإسكان؛ لأن الهاء إنما تسكن تشبيهًا لها بهاء التأنيث في حالة الوقف نحو: ضاربَه، وذاهبَه وهذا إنما يكون في الشعر لا في الكلام»[٨].

---

(١) آل عمران (٧٥).
(٢) آل عمران (١٤٥)، والشورى (٢٠).
(٣) النساء (١١٥).
(٤) النور (٥٢).
(٥) النمل (٢٨).
(٦) النشر (١/ ٣٠٧)، غيث النفع (٨٧).
(٧) الوافي في شرح الشاطبية (٦٩).
(٨) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٢٢٣، ٢٢٤).

ثانيًا: (يرضه) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[١] فلهشام فيه وجهان: (الإسكان والاختلاس)، ولابن ذكوان وجهان: (الاختلاس والصلة)[٢].

ثالثًا: (يره) في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ ﴾[٣]، ﴿ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾، و﴿ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٤] فقد سكن الهاء هشام وأشبعها ابن ذكوان[٥].

رابعًا: (يأته) في قوله تعالى: ﴿ ومن يأتيه مؤمنا ﴾[٦] قرأها ابن عامر بإشباع الهاء وكذا حفص[٧].

ويلاحظ من اختلاف القراء في هذه المواضع حول حركة الهاء أن سبب هذا الاختلاف يرجع إلى أن الهاء تقع في فعل معتل الآخر حذفت لامه وهي (حرف العلة) للبناء كما في (ألقه) أو للجزم كما في الأفعال المتقدمة. وقد سبق القول بأن الهاء إذا سبقت بساكن لا تشبع، بل تختلس حركتها، وإذا سبقت بمتحرك فإنها تشبع، ومن ثم فمن أشبع الهاء في هذه المواضع، فإنه لم ينظر إلى حرف العلة المحذوف، بل نظر إلى الحرف المتحرك الذي يسبق حرف العلة، ومن اختلس حركة الهاء –أي لم يشبعها– فإنه اعتبر وجود حرف العلة المحذوف.

قال ابن خالويه عند قوله: «(يؤده) فالحجة لمن أشبع وأتى بالياء –بعد الهاء– أنه لما سقطت الياء للجزم أفضى الكلام إلى هاء قبلها كسرة فأشبع حركتها فرد ما كان يجب في الأصل لها.

---

(١) الزمر: ٧.
(٢) النشر (١/ ٣٠٧)، والإرشادات الجلية (٤٠٧).
(٣) البلد: ٧.
(٤) الزلزلة: ٧، ٨.
(٥) النشر (١/ ٣٠٣).
(٦) طه: ٧٥.
(٧) النشر (١/ ٣٠٨).

والحجة لمن اختلس الحركة: أن الأصل عنده (يؤديه إليك) فزالت الياء للجزم، وبقيت الحركة مختلسة على أصل ما كانت عليه[١].

أما وجه الإسكان فإن ابن خالويه يوجهه بقوله: «والحجة لمن أسكن أنه لما اتصلت الهاء بالفعل اتصالًا لا يمكن انفصالها منه توهم أنها آخر الفعل فأسكنها تخفيفًا ليدل بذلك على الجزم»[٢].

خامسًا: (أرجه) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾[٣]، فقد قرأ ابن عامر (أرجئه) بهمزة ساكنة بعد الجيم المكسورة ثم اختلف عنه راوياه في حركة الهاء؛ فضم الهاء فيها هشام ولكن له وجهان: الصلة (أي الإشباع) والاختلاس، وكسر الهاء ابن ذكوان ولكن مع الاختلاس[٤]. وقد ورد عن ابن ذكوان الإشباع فيما انفرد به أبو الحسين الخباز، ولكن ابن الجزري يضعف هذه القراءة من حيث سندها، فيقول: «وأحسبه وهمًا فإني لا أعلم أحدًا قرأ به»[٥].

ومما تقدم يتضح أن لابن عامر أربع قراءات في (أرجئه): قراءتان مع ضم الهاء وهما الإشباع والاختلاس، وقراءتان مع كسر الهاء وهما الاختلاس والإشباع أيضًا وكلها مع الهمز، ولكنَّ الكثيرين لم يجيزوا غير قراءة الضم مع الاختلاس، وضعفوا بل أنكروا ما عداها وخاصة قراءة الكسر، فقد أنكرها ابن مجاهد فقال: «وقول ابن ذكوان هذا (أي بكسر الهاء) وهمٌ؛ لأن الهاء لا يجوز كسرها وقبلها همزة ساكنة، وإنما يجوز إذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسرة، وأما الهمز فلا»[٦].

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص١١١.
(٢) الحجة في القراءات السبع، ص٣٠٨.
(٣) الأعراف: ١١١، الشعراء: ٣٦.
(٤) شرح ابن القاصح ص٦٦، وغيث النفع ص١٣٧.
(٥) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٩).
(٦) السبعة في القراءات، ص٢٨٨.

ويؤكد ابن خالويه هذا فيقول: «إن هاء الكناية إذا سُكِّن ما قبلها لم يجز فيها إلا الضم؛ لأن ما بعد الساكن كالمبتدأ، ويدلل على ذلك قولهم: (منه، عنه) بضم الهاء، وأما قراءة إثبات الهمز مع كسر الهاء من غير صلة فينسبها ابن خالويه إلى هشام، على حين أن هذه القراءة منسوبة في كتب القراءات إلى ابن ذكوان، ثم يعقب ابن خالويه على قراءة ابن ذكوان بقوله: وهو غلط عند النحويين، لأن الكسر لا يجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها كقوله تعالى: ﴿ وأشركه في أمرى ﴾[1]. ومع ذلك فإن ابن خالويه يلتمس لها وجها في العربية فيقول: إن الهمزة لما سكنت والهاء بعدها ساكنة على لغة من يسكن الهاء كسرت لالتقاء الساكنين»[2].

وتخريج ابن خالويه هذا ليس قريبًا من التصور؛ لأن ذلك ليس من مواضع التخلص من التقاء الساكنيْن فضلًا عما فيه من تكلف. وقد ضعف العكبري أيضًا هذه القراءة، ولكنه خرجها بقوله: «ووجهه أنه أتبع الهاء كسرة الجيم والحاجز وهو الهمزة الساكنة غير حصين»[3].

وتخريج العكبري هذا قوي؛ لأن الهمزة ليست في قوة غيرها من الحروف إذ يعتريها من التغير ما لا يعتري سواها، وجاء تخريج أبي حيان لكسر الهاء قريبًا من هذا فقال: «ويخرج الكسر أيضًا على توهم إبدال الهمز ياء، أو على أن الهمز لما كان كثيرًا ما يبدل بحرف العلة أُجري مجرى حرف العلة في كسر ما بعده، وما ذهب إليه الفارسي وغيره من غلط هذه القراءة وأنها لا تجوز قول فاسد لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها الأكابر عن الأئمة، وتلقتها الأمة بالقبول، ولها توجيه في العربية، وليست الهمزة كغيرها من الحروف الصحيحة لأنها قابلة للتغيير بالإبدال والحذف

(١) طه: ٣٢.
(٢) الحجة في القراءات السبع، ص١٦٠.
(٣) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٨٧).

بالنقل وغيره، فلا وجه لإنكار هذه القراءة»[١].

ومما تقدم من الكلام عن هاء الكناية يمكن استنتاج الملاحظات الآتية:

١ - إن الأصل في هاء الكناية البناء على الضم كما في قوله: له، منه، عنه. ولا تكسر إلا لمجاورتها لكسرة أو ياء ساكنة[٢].

٢ - إن موقف ابن عامر من هاء الكناية بوجه عام يدور حول ثلاث ظواهر صوتية هي: (الإسكان، والاختلاس، والإشباع)، وهذه الظواهر الثلاث لا تخلو منها قراءة من القراءات.

٣- إن الإشباع والاختلاس لغتان شائعتان في كلام العرب، فقد جاء الإشباع في قول ذي الرمة:

كأنه كوكب في إثر عفرية	مسوم في سواد الليل منقضب

فإن وزن البيت لا يستقيم إلا بإشباع ضمة الهاء في (كأنه) لأن البيت من البسيط. وقد جاء الاختلاس في قول الآخر:

له زجل كأنه صوت حاد	إذا طلب الوسيقة أو زمير[٣]

فإن وزن البيت أيضًا لا يستقيم إلا باختلاس ضمة الهاء في (كأنه) فلو أشبعت الضمة لانكسر وزن البيت لأنه من الوافر.

٤ - إن الإشباع وسيلة لتقوية الهاء، فهو صوت ضعيف، ويصفه علماء اللغة المحدثون بأنه صوت حنجري احتكاكي مهموس، إذ لا تتذبذب الأوتار الصوتية

(١) البحر المحيط (٤/ ٣٦٠).
(٢) قلائد الفكر، ص٥.
(٣) الحجة لابن خالويه، ص٣٠٨.

عند النطق به[١] ومن هنا: «أريد تقويته بحرف من جنس حركته»[٢].

٥- إن إسكان الهاء لغة قليلة، ولكن لها وجه في العربية فيمكن أن يكون إسكان الهاء تشبيهًا لها بهاء التأنيث، ويمكن أن يكون الإسكان على توهم أن الهاء آخر الفعل، ومن ثم وقع عليها البناء أو الجزم، ويمكن أن يكون إجراء للوصل مجرى الوقف، ويمكن أن يكون الإسكان استثقالًا لصلة الهاء كما فعلوا في ميم الجمع[٣].

٦- ينبغي أن يوضع في الاعتبار أن خلاف القراء في هاء الكناية مبني على حالة الوصل، أما الوقف فلا خلاف بينهم في أنه بالسكون.

(١) علم الأصوات، د/ كمال بشر، ص١٢٢.
(٢) قلائد الفكر، ص٥.
(٣) المرجع السابق، ص٥.

obeikandl.com

المد والقصر

المد والقصر ظاهرتان صوتيتان تحدثت عنهما كتب القراءات باستفاضة، ولكني سأتحدث عنهما بالقدر الذي يبين موقف ابن عامر منهما.

وتُعرِّف كتب القراءات المد بأنه: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين الثلاثة «الألف والواء والياء»[١].

ويعرفه ابن القاصح بأنه: طول زمان الصوت[٢].

أما القصر فهو: ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله[٣].

والقصر هو الأصل والمد فرع عنه، وسوف ينصب الكلام على المد لأنه متوقف على سبب كما سيأتي.

حروف المد:

حروف المد ثلاثة هي:

١ - الألف: ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا.

٢ - الواو الساكنة المضموم ما قبلها: ولا تكون حرف مد ولين إلا بشرطين:

أحدهما: أن تكون ساكتة.

---

(١) الوافي في شرح الشاطبية، ص٧٢.
(٢) شرح ابن القاصح، ص٦٧.
(٣) الإتقان للسيوطي (١/ ٣٣٣).

obeikandl.com

ثانيهما: أن تكون حركة ما قبلها من جنسها؛ أي: ضمة.

٣- الياء الساكنة المكسور ما قبلها: ولا تكون حرف مد ولين إلا بشرطين أيضًا:

أحدهما: أن تكون ساكنة.

ثانيهما: أن تكون حركة ما قبلها من جنسها؛ أي: كسرة[١].

وهذه الحروف الثلاثة تسمى عند القدماء بالحروف الجوفية؛ لأنها تخرج من الجوف.

وقد وصف سيبويه هذه الحروف فقال: «ومنها اللينة، وهي الواو والياء؛ لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما، وإن شئت أجريت الصوت ومددت.

ومنها (الهاوي) وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف.

وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجًا: الألف، ثم الياء، ثم الواو»[٢].

فإذا جئنا إلى وصف علم اللغة الحديث لهذه الحروف، فإننا لا نجده يبعد عما ذهب إليه سيبويه، فصوت الألف في علم اللغة الحديث «صوت انطلاقي مجهور؛ أي حركة أو مُصَوِّت»[٣].

---

(١) الوافي في شرح الشاطبية، ص٧٢.

(٢) الكتاب (٤/ ٤٣٥، ٤٣٦).

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٥.

وهذا ما يعنيه سيبويه بقوله: «اتسع لهواء الصوت مخرجه».

ويعقب الدكتور/ عبد الصبور شاهين على وصف سيبويه للواو والياء بقوله: «ولا مشاحة في أن الواو والياء صوتان مجهوران كما أن وصف سيبويه لهما باللين الذي يقصد به اتساع مخرجهما لهواء الصوت يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون من وصفهما بأنهما انطلاقيان غير محتكين.

غير أن سيبويه قد رتب على اتساع مخرجهما حكمًا آخر؛ هو أنهما من أخفى الحروف، ولا شك أنه لا يقصد بذلك الهمس أو شيئًا كالهمس، فهو قد قرر أنهما مجهوران، وإنما نظن أنه يريد بخفائهما ضعفهما»[(١)].

وليست الحركات الثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة مأخوذة من أصوات المد الثلاثة: الألف والياء والواو كما ذهب إلى ذلك بعض القدماء[(٢)].

بل إن الصحيح على ما يبدو هو ما ذهب إليه علم اللغة الحديث من أن الألف إشباع للفتحة، وأن الياء إشباع للكسرة، وأن الواو إشباع للضمة، فأصوات المد إذًا: حركات طويلة ناتجة عن حركات قصيرة[(٣)].

أسباب المد:

تقدم أن المد زيادة في حرف المد على المد الطبيعي، وهذه الزيادة لا تكون إلا لسبب يقتضيها، وأسباب المد تنحصر في شيئين: الهمز والسكون، أما الهمز فتارة يكون متقدمًا على حرف المد كما في نحو (آدم ورأى) وهذا النوع لا يمده إلا ورش عن نافع وهو ما يسمى بمد البدل. أما ابن عامر وباقي القراء فمذهبهم فيه القصر؛

(١) المرجع السابق، ص٤٠.
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٠٤).
(٣) علم الأصوات، د/ كمال بشر، ص١٤٨.

أي لا يزيدون على المد الطبيعي الذي هو بمقدار حركتين.

وتارة يكون الهمز متأخرًا على حرف المد نحو (أولئك، يأيها).

وأما السكون فهو يقع بعد حرف المد وهو إما سكون لازم كما في نحو (الضالين)، (أتعداني)[1] على رواية إدغام النون في النون لهشام، أو سكون عارض كما في نحو (لم) من فواتح السور[2].

ولمد الصوت في حروف المد قبل الهمزة والساكن وجه مشهور في العربية.

قال ابن جني مبينًا علة هذا المد: «وإنما تمكن المد فيهم (أي الألف والواء والياء) مع الهمز؛ لأن الهمزة حرف نأى منشؤه وترامى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت، فوفين له وزدن (في بيانه) و(مكانه)، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها (أي الهمزة) وغير المشدد»[3]، فمد هذه الحروف قبل الهمزة لبيان هذه الهمزة، لأنها صوت ضعيف لبعد مخرجها، ومد الحروف قبلها يقويها ويظهرها، هذا ما يبدو من كلام ابن جني، وإن كان بعضهم يرى خلاف ذلك، أي يرى أن زيادة الصوت في حرف المد قبل الهمزة لإظهار وبيان حرف المد لأنه صوت خفي وقع قبل صوت قوي وهو الهمزة، وفي ذلك يقول مكي بن أبي طالب:

«إن هذه الحروف حروف خفية، والهمزة حرف جَلْدٌ (أي قوي)، بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفًا خفيًّا، خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبُيِّن بالمد ليظهر، وكان بيانه بالمد أولى؛ لأنه يخرج من مخرجه بمد، فبُيِّن بما هو

(١) الأحقاف: ١٧.
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣١٩).
(٣) الخصائص (٣/ ١٢٥).

منه»[١].

وعلى أي فلا تعارض بين النظرتين، فالهمزة تعتبر صوتًا ضعيفًا من حيث بُعد مخرجه فهو يحتاج إلى تقوية وإظهار بمد الصوت قبله، وتعتبر الهمزة صوتًا شديدًا من حيث النطق، فحرف المد قبله محتاج إلى تقوية لأن حروف المد ليست شديدة أو احتكاكية، بل هي أصوات هوائية انطلاقية كما تقدم.

مقدار المد عند ابن عامر:

لقد أسهبت كتب القراءات في تفصيل أنواع المد في القرآن الكريم حتى بلغ عددها عشرة أنواع[٢] لا يتسع المقام لذكرها كلها، ولكن أذكر نوعين منها وهما المد المتصل، والمد المنفصل، أما باقي الأنواع فليس لابن عامر فيها إلا القصر، وها هو ذا مذهب ابن عامر في كل من المتصل والمنفصل.

١ - **المتصل**: وهو أن يكون حرف المد والهمزة في كلمة واحدة نحو (أولئك، أولياء).

٢ - **المنفصل**: وهو أن يكون حرف المد آخر كلمة والهمز أول كلمة أخرى نحو (بما أنزل، يأيها، قالوا آمنا).

ولا خلاف بين القراء في مد المتصل، ولكن الخلاف بينهم ينصب على مقدار هذا المد، ولا يجوز فيه القصر بل يجوز في المنفصل[٣].

والقراء في المد على ثلاثة مراتب: (القصر، والتوسط، والإشباع) وتتفق كتب

(١) الكشف عن وجوه القراءات (١/٤٦).
(٢) شرح ابن القاصح على الشاطبية ص٦٧، والوافي في شرح الشاطبية ص٧٣، ٧٤، ٧٥.
(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٣١٩).

القراءات على أن ابن عامر من الذين يذهبون إلى التوسط في المد في كل من المتصل والمنفصل[١].

قال أبو عمرو الداني: «كان عبد الله بن عامر يُمكِّن حروف المد واللين الثلاثة تمكينًا حسنا من غير إفراط عند استقبالهن الهمزات في المتصل والمنفصل»[٢].

«والتوسط مقداره أربع حركات، والحركة قدرها العلماء بزمن قبض الإصبع أو بسطها»[٣].

والتوسط عند ابن الجزري بمقدار ألفين، ومقدار الألفين هو مقدار الأربع حركات، والتقدير بالألفات يعني الزيادة «والمحقق إنما هو الزيادة وهذا مما تحكمه المشافهة وتوضحه الحكاية ويبينه الاختبار ويكشفه الحس»[٤].

(١) النشر: (١/ ٣٢٣)، الوافي في شرح الشاطبية ص٧٤.
(٢) المفردات السبع ص١٨١، ١٨٢.
(٣) الإرشادات الجلية ص٢٥.
(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٣).

obeikandl.com

الفتح والإمالة

من الظواهر الصوتية التي شاعت في القرآن الكريم وتناقلتها ألسنة القراء الفتح والإمالة، وليس الفتح هنا مصطلحًا نحويًّا بمعنى أنه يدل على إعراب أو بناء ولكنه مصطلح صوتي يُذكر في كتب القراءات مقابلًا للإمالة، والفتح هو الأصل في حركة الحرف المفتوح، والإمالة فرع عنه حيث إنها تجيء في الكلمة لسبب يقتضيها[١]، ولذلك فإن الكلام فيما يلي سوف ينصب على ظاهرة الإمالة من حيث مفهومها وأسبابها ومكانها بين اللهجات العربية والكلمات التي يميلها ابن عامر في القرآن.

مفهوم الإمالة:

تجيء الإمالة في اللغة لمعانٍ كثيرة، منها أنها من الميل وهو «العدول إلى الشيء والإقبال عليه»[٢] ومن ذلك ألف الإمالة، «وألف الإمالة هي التي تجدها بين الألف والياء»[٣].

وإذا أُميلت الألف فإنها لا تُمال وحدها، بل لا بد أن تمال الفتحة قبلها. وقد عبَّر ابن جني عن الفتحة الممالة بأنها هي المشوبة بالكسرة، وفي ذلك يقول: «أما الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء، لضرب من تجانس الصوت، كما أن الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألف محضة، وهذا هو القياس لأن الألف تابعة للفتحة، كما

(١) شرح ابن القاصح، ص١٣٠.
(٢) لسان العرب (٦/ ٤٣٠٩).
(٣) المرجع السابق (٦/ ٤٣١١).

أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها»[١].

ولا يختلف مفهوم الفتح والإمالة في كتب اللغة عما جاء في كتب القراءات إذ يقول ابن الجزري في تعريف الفتح والإمالة: «والفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر. والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرًا) وهو المحضة، ويقال له: الإضجاع»[٢]. وتسمى الإمالة أيضا الكسرة والبطح[٣].

ولا يكون وضع اللسان حال النطق بالإمالة كوضعه حال النطق بالكسرة المحضة أو الياء، بل إن «اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا في قاع الفم فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة»[٤]، وهناك حالة ثالثة -أي بين الفتح والإمالة- وتسمى هذه الحالة بين اللفظين أو التقليل أو التلطيف، وبين بين، فالإمالة قسمان: شديدة ومتوسطة وكلاهما جائز في القرآن[٥].

والفرق بينهما أن الشديدة هي الميل إلى الياء كثيرًا، والمتوسطة هي الميل إلى الياء قليلًا، والنوع الأول هو الذي عليه أكثر القراء وابن عامر كذلك، أما الإمالة المتوسطة أو الصغرى التي تسمى بالتقليل أو بين بين، فإن كتب القراءات نقلتها عن نافع من رواية ورش[٦].

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٥٨، ٥٩).
(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩).
(٣) شرح الأشموني (٤/ ٢٢٠).
(٤) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص٦٤، والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص٣٠.
(٥) الإتقان للسيوطي (١/ ٣١٤).
(٦) شرح ابن القاصح، ص١٣٨.

الإمالة بين اللهجات العربية:

قال أبو عمرو الداني: «والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس»[١].

وقال الأشموني: «وأما أصحاب الإمالة فتميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد كأسد وقيس، وأما أهل الحجاز فيضخمون بالفتح وهو الأصل، ولا يميلون إلا في مواضع قليلة»[٢].

وقال الدكتور إبراهيم أنيس مفصلًا ذلك: «ويمكن بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال: قريش، والأنصار، وثقيف، وهوزان، وسعد بن بكر، وكنانة، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها من تميم وأسد، وطيء، وبكر بن وائل، وعبد القيس، وتغلب»[٣].

ويتضح من ذلك أن الفتح والإمالة ظاهرتان متعاقبتان على اللسان العربي كلاهما فصيح. ولعل هذا التوزيع للفتح والإمالة على القبائل والمناطق العربية ليس تحديدًا قاطعًا، بل إن القبائل التي اشتهرت بالفتح فقد تميل في بعض كلامها، وإن القبائل التي اشتهرت بالإمالة قد تفتح في بعض كلامها، وهذا منعكس على القراءات القرآنية. فما من قارئ من القراء إلا وقرأ بالفتح في مواضع وبالإمالة في مواضع أخرى بنسب متفاوتة، وسوف يتضح ذلك من موقف ابن عامر من الفتح والإمالة.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٩).
(٢) شرح الأشموني (٤/ ٢٢١).
(٣) اللهجات العربية، ص٦٠، الطبعة الخامسة.

أسباب الإمالة في قراءة ابن عامر:

قبل أن أذكر أسباب الإمالة ومدى انطباقها على ما أماله ابن عامر في القرآن يجدر التنبيه على أمرين:

أولهما: «أن الإمالة جائزة لا واجبة بالنظر إلى لسان العرب لأن العرب مختلفون في ذلك».

ثانيهما: «أن الإمالة تجوز في الأسماء والأفعال، ولا تجوز الإمالة في الحروف إلا إذا سُمي بها أو شُبهت بالأسماء، وقال الخليل: لو سميت رجلًا بها أو امرأة جازت فيها الإمالة»[1].

ولعل الدليل على أن الإمالة في الأسماء والأفعال جائزة لا واجبة أن القبائل العربية ليست متفقة على إمالة الكلمة التي يوجد بها سبب من أسباب الإمالة. ويتضح هذا من موقف القراء من الإمالة فلا يلزم أن يميل القارئ من الكلمات كل ما توافر فيه أسباب الإمالة، ولكنه يختار الإمالة في بعض الكلمات ويختار الفتح في بعضها الآخر، بل قد يرد الوجهان (الفتح والإمالة) في كلمة واحدة وعن قارئ واحد، ولا أدل على ذلك من موقف ابن عامر من الإمالة، فإنه أمال في مواضع وفتح في مواضع أخرى، وكثيرًا ما يرد عنه الوجهان في موضع واحد، والفتح عنده أكثر بوجه عام لأنه هو الأصل.

أما أسباب الإمالة فهي كثيرة تتلخص في: «قصد المناسبة لكسرة، أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور، أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة، وللفواصل، أو لإمالة قبلها على وجه»[2].

---

(١) الكتاب (٤/ ١٣٥)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ٢٦).
(٢) شرح الشافية للرضي (٣/ ٤).

ولكن علماء اللغة يردون هذه الأسباب كلها إلى شيئين هما: الكسر والياء، واختلفوا في أيهما أقوى؛ فذهب الأكثرون إلى أن الكسرة أقوى من الياء وأدعى إلى الإمالة، وهو ظاهر كلام سيبويه، فإنه قال في الياء لأنها بمنزلة الكسر، فجعل الكسرة أصلًا، وذهب ابن السراج إلى أن الياء أقوى من الكسرة.

والأول أظهر لوجهين:

أحدهما: أن اللسان يتسفل بها (الكسرة) أكثر من تسفله بالياء.

وثانيهما: أن سيبويه ذكر أن أهل الحجاز يميلون الألف للكسرة، وذكر في الياء أن أهل الحجاز وكثيرًا من العرب لا يميلون للياء، فدل هذا من جهة النقل على أن الكسرة أقوى[1].

وفيما يلي أتتبع المواضع التي أمالها ابن عامر في القرآن مع بيان الأسباب في إمالتها.

أولًا: إمالة الألف ذات الأصل اليائي:

فقد أمال ابن ذكوان عن ابن عامر (الراء)، و(الهمزة) من كل فعل ماضٍ عينه (همزة) بعدها (ألف) قبلها حرف متحرك، والمراد بهذا الفعل هو (رأى) وهو ستة عشر موضعا في القرآن هي:

﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾[2] – ﴿ رَءَآ أَيْدِيَهُمْ ﴾[3] – ﴿ رَءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[4] –

(١) شرح الأشموني (٤/ ٢٢١).
(٢) الأنعام: ٧٦.
(٣) هود: ٧٠.
(٤) يوسف: ٢٤.

﴿ رَءَا قَمِيصَهُۥ ﴾[١] - ﴿ رَءَا نَارًا ﴾[٢] - ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ﴾[٣] - ﴿ رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾[٤] - ﴿ رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا ﴾[٥] - ﴿ رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾[٦] - ﴿ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[٧] - ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ ﴾[٨] - ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[٩] - ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[١٠] - ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[١١] - ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ﴾[١٢] - ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[١٣].

فقد ذكرت كتب القراءات أن ابن ذكوان أمال بلا خلاف عنه الراء والهمزة من كل فعل لم يتصل به ضمير، وروي عنه الوجهان: الفتح والإمالة فيما اتصل به ضمير من هذه الأفعال المتقدمة.

وأما (رأى) الواقعة قبل الساكن المنفصل وهو لام التعريف نحو ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ ﴾[١٤]، فإن ابن ذكوان يميل الراء والهمزة عند الوقف فقط، ويفتحها عند الوصل[١٥]. ويلاحظ هنا أن الإمالة ليست واقعة على الهمزة والألف بعدها فقط، بل تُمال الراء التي قبل الهمزة.

---

(١) يوسف: ٢٨.
(٢) طه: ١٠.
(٣) الأنبياء: ٣٦.
(٤) النمل: ١٠.
(٥) النمل: ٤٠.
(٦) القصص: ٣١.
(٧) فاطر: ٨.
(٨) الصافات: ٥٥.
(٩) النجم: ١١.
(١٠) النجم: ١٣.
(١١) النجم: ١٨.
(١٢) التكوير: ٢٣.
(١٣) العلق: ٧.
(١٤) الأنعام: ٧٧.
(١٥) شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص٢٥٤-٢٥٦.

وقد أميلت الألف هنا إشارة إلى أصلها وهو الياء. وقد روى سيبويه هذا النوع من الإمالة فقال: «أما ما كان من بنات الياء فتُمال ألفه؛ لأنها في موضع ياء وبدل منها فلذلك نحوا بالألف نحو الياء كما في (رأى)»[١].

أما إمالة الراء قبل الهمزة فهي تابعة لإمالة الهمزة. وقد روى سيبويه أيضًا هذا النوع من الإمالة فقال: «فأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة»[٢] وذلك حتى يحدث التناسب الصوتي في نطق الحروف.

وقد وجَّه ابن خالويه كلًّا من إمالة الراء والهمزة بعدها بقوله: «والحجة لمن أمال الهمزة والراء قبلها أنه أتبع بعض الحروف بعضًا بالإمالة، فكسر الياء بواجب الإمالة، (أي: أمال الألف)، وكسر الهمزة (أي: أمالها) لمجاورة الياء، وكسر الياء (أي: أمالها) لمجاورة الهمزة»[٣].

ويعني ابن خالويه بالكسر: الإمالة، ويعني بالياء: الألف التي بعد الهمزة لأنها منقلة عن ياء.

ومما أماله ابن ذكوان للياء الألف من لفظ (التوراة) حيث جاء في القرآن[٤]. ووجود هاء التأنيث بعد الألف هنا لا يمنع من كون الألف متطرفة، والألف في (التوراة) منقلبة عن ياء، ولذلك أُميلت، ولم يختلف النحاة في أصل هذه الألف وهو الياء، ولكنهم اختلفوا في وزنه أو أصل بنيته.

قال ابن الأنباري: «وفي التوراة وجهان: أحدهما -وهو مذهب البصريين- أن تكون (فوعلة) بفتح الفاء وسكون الواو وفتح العين، من (وَرَى الزند، يَرِي) بفتح

(١) الكتاب (٤/ ١١٨).
(٢) الكتاب (٤/ ١٢٣).
(٣) الحجة في القراءات السبع، ص١٤٣.
(٤) شرح ابن القاصح، ص٢٢١.

الياء وكسر الراء على مثال (وَعَد، يَعِد). وأصله (أي: التوراة) (وَوْرَيَه) بفتح الواو الأولى وسكون الثانية وفتح الراء والياء، فأبدلت الواو الأولى تاء، وقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

والثاني -وهو مذهب الكوفيين-: أن تكون (تفعِلة) من (وَرِيَ الزند) بكسر الراء وفتح الياء، فالتاء زائدة غير منقلبة كالتاء في (توصية) وأبدلت كسرة الراء فتحة فانقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، كما قالوا في (جارية): جاراة، وفي (ناصية): ناصاة.

ويفضل ابن الأنباري الوجه الأول لسببين:

الأول: لأن (فوعلة) أكثر من (تفعلة) فحمله على الأكثر أولى من الأقل.

الثاني: أن زيادة الواو ثانية في الأسماء أكثر من زيادة التاء أولًا، فكان حمله على الأكثر أولى»[1].

ولا تُمال الألف إذا كانت منقلبة عن أصل يائي فقط، بل تُمال كذلك إذا كانت صائرة إلى الياء، وينطبق هذا على كل ألف متطرفة بعد ثلاثة أحرف كالألف المقصورة[2]. وقد أمال ابن ذكوان عن ابن عامر في أحد وجهيه من هذا القبيل كل ألف قبلها راء حيث جاء في القرآن نحو (ذكرى، بشرى، أسرى، النصارى، أسارى، سكارى، فأراه، اشترى)[3]. ومعنى صيرورة الألف إلى الياء هنا أنها تقلب ياءً في التثنية والجمع بالنسبة للأسماء، وأنها تُقلب ياء عند الاتصال بضمير رفع متحرك بالنسبة للأفعال.

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ١٩٠، ١٩١).
(٢) شرح الأشموني (٤/ ٢٢١، ٢٢٢).
(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٠).

ثانيًا: إمالة الألف المبدلة من عين الفعل الثلاثي الأجوف:

وقد أمال ابن ذكوان عن ابن عامر من ذلك كل ما ورد في القرآن من لفظ (جاء، شاء، خاف، زاد)[١].

وسبب إمالة الألف في هذه الأفعال: كسر أوله عند إسناده إلى الضمير فيقال فيه: (فِلت) بكسر الفاء.

قال سيبويه: «ومما يميلون: كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هي فيه عين إذا كان أول (فعلت) مكسورًا، نحوا فيه نحو الكسرة، كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض الحجاز»[٢].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن أمال هذه الأفعال كسر أوائل هذه الأفعال إذا أخبر بها المخبر عن نفسه فقال: زدت، خفت، وما أشبه ذلك»[٣].

وقد احترزوا بقولهم (فِلت) بكسر الفاء «من أن يصير إلى (فلت) بضم الفاء نحو: (قلت) فإنه لا يمال (قال)؛ لأنه لا ياء فيه ولا كسرة تعرض له»[٤].

ثالثًا: إمالة الألف من أجل كسرة قبلها أو بعدها:

مما أميلت فيه الألف للكسرة بعدها ما انفرد به هشام عن ابن عامر من إمالة الألف بعد الشين في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[٥]،

(١) شرح ابن القاصح، ص١٤٠.
(٢) الكتاب (٤/ ١٢٠).
(٣) الحجة في القراءات السبع، ص٦٨.
(٤) الهمع (٢/ ٢٠١).
(٥) سورة يس: ٧٣.

وإمالة الألف بعد الهمزة من كلمة (آنية) في قوله تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾[١]، وإمالة الألف بعد العين من الكلمتين (عابدون وعابد) في قوله تعالى: ﴿ ولا أنتم عبدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾[٢].

فقد أمال هشام عن ابن عامر الألف بعد الشين والهمزة والعين في كل من (مشارب)، (آنية)، (عابدون)، (عابد)[٣] وإمالة هذه الألف تستلزم إمالة الحرف الذي قبلها فتُمال الشين في (مشارب)، والهمزة في (آنية)، والعين في (عابدون)، (عابد)، والكسرة في هذه الكلمات بعد الحرف الممال.

وقد تُمال الألف لكسرة قبلها، ومن ذلك: إمالة الألف بعد النون في كلمة (إناه) من قوله تعالى: ﴿ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ ﴾[٤] فقد قرأ هشام وحمزة والكسائي بإمالة الألف بعد النون في (إناه)[٥]، وإمالة الألف تستلزم إمالة النون، وهذه الإمالة من أجل كسرة الهمزة قبلها.

وهذا اللون من الإمالة ينطبق على ما أماله ابن ذكوان من الألفات التي قبلها راء سبقت بكسرة نحو: (من بعد إكراههن)[٦] و(الإكرام)[٧] و(المحراب) و(عمران) حيث وقع، أي أمال ابن ذكوان هذه الألفات بخلاف عنه، فقد رُوي عنه الفتح أيضًا إلا المحراب المجرور، فإنه أماله بلا خلاف عنه، وهو بموضعان ﴿ فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[٨]،

(١) سورة الغاشية: ٥.
(٢) الكافرون: ٣، ٤، ٥.
(٣) شرح ابن القاصح، ص١٤٤.
(٤) الأحزاب: ٥٣.
(٥) شرح ابن القاصح، ص١٣٨.
(٦) النور: ٢٣.
(٧) الرحمن: ٢٧، ٧٨.
(٨) آل عمران: ٣٩.

﴿ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾[١]، فقد أمال ابن ذكوان في هذين الموضعين بلا خلاف[٢]، واختلف عن ابن ذكوان في كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو: (الدار – الغار – القهار – الغفار – النهار). ومن ذلك أيضًا: ﴿ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾[٣] فقد روى الصوري عنه إمالة ذلك كله، وروى الأخفش عنه الفتح[٤].

وقد روى سيبويه هذا النوع من الإمالة فقال: «وإذا كانت الراء بعد ألف تُمال – أي: الألف– إذا كانت الراء مجرورة لا مرفوعة أو منصوبة» ويعلل سيبويه إمالة الألف في حالة جر الراء بعدها بأن كسرة الراء بكسرتين وفي ذلك يقول: «كأنها – أي: الراء– حرفان مكسوران»[٥].

وقد وضح ابن الأنباري ما قاله سيبويه فقال: «لأن الألف إذا كانت بعدها كسرة جلبت الإمالة خصوصًا إذا كانت في راء لأنها حرف تكرير، فالكسرة فيها بكسرتين، ولهذا إذا وجدت مع الحروف التي توجب منع الإمالة، وهي حروف الاستعلاء والإطباق وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف، فإنها توجب جواز الإمالة لما فيها من التكرير، وكما أن الراء توجب جواز الإمالة مع ما يوجب منعها إذا كانت مكسورة، فإنها توجب منع الإمالة مع ما يوجب جوازها إذا كانت مضمومة أو مفتوحة، فإن الضمة فيها بضمتين، والفتحة بفتحتين، لما فيها من التكرير»[٦].

---

(١) مريم: ١١.
(٢) شرح ابن القاصح، ص١٤٤.
(٣) البقرة: ٢٥٩.
(٤) النشر في القراءات العشر (٢/ ٥٥).
(٥) كتاب سيبويه (٤/ ١٣٦).
(٦) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ١٧١، ١٧٢).

رابعًا: الإمالة من أجل الفرق بين الاسم والحرف:

وهذا السبب يندرج تحته ما أماله ابن عامر من الحروف في فواتح السور، فقد «أمال ابن عامر الراء من فواتح السور؛ أي كل سورة بدأت بـ (الر، المر) وهي فواتح سور (يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر) إمالة محضة، وأمال أيضًا: الياء من (كهيعص) أول سورة (مريم)، وأمال ابن ذكوان الحاء من (حم) في فواتح السور السبع وهي: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)»[١] فقد أميلت هذه الحروف لأنها أسماء.

قال سيبويه وهو يتحدث عن (حم): «وأما (حم) فلا ينصرف، إن جعلته اسمًا للسورة، أو أضفت إليه، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي، نحو: هابيل وقابيل»[٢].

«وأهل العربية يقولون في حروف المعجم: أنه يجوز إمالتها، وتفخيمها، وقصرها، ومدها، وتذكيرها، وتأنيثها»[٣].

وقال القرطبي عند تفسير لـ (الر): «وقرئ بالإمالة لئلا يشبه (ما، ولا) من الحروف»[٤]. ويقصد بالإمالة إمالة فتحة الراء.

يقول ابن الجزري معقبًا على ما قرره سيبويه من جواز إمالة حروف الهجاء لأنها أسماء ما يلفظ به فليست مثل (ما، ولا) وغيرهما من الحروف المبنية على السكون، وإنما جاءت كسائر الأسماء. «ولهذا السبب أميل ما أميل من حروف الهجاء في الفواتح»[٥].

---

(١) شرح ابن القاصح، ص٢٨٣-٢٨٥.
(٢) الكتاب (٣/ ٢٥٧).
(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ص١٧٩.
(٤) القرطبي (٤/ ٣١٤٣) ط. دار الشعب.
(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٤).

وبعد هذا العرض للمواضع التي أمالها ابن عامر في القرآن فإنني أذكر الملاحظات الآتية:

١- ليست للإمالة عند ابن عامر قاعدة أو ضابط فهو يميل بعض الحروف ويفتح بعضها الآخر.

٢- ليست الإمالة أصلًا في قراءة ابن عامر بحيث يميل كل ما تجوز إمالته في القرآن، بل الفتح عنده هو الأكثر والأصل، فهو يميل في مواضع قليلة بالقياس إلى غيره من القراء كحمزة والكسائي وأبي عمرو، فالإمالة هي أصل في قراءة هؤلاء.

٣- يلاحظ مما سبق أن معظم ما أميل من الكلمات إنما روي عن ابن ذكوان دون هشام ولم يشارك هشام ابن ذكوان في الإمالة إلا في مواضع قليلة.

٤- ورغم أن الإمالة ليست أصلًا عند ابن عامر فإنه انفرد بإمالة بعض الحروف: فقد انفرد هشام عنه بإمالة الألف في كل من: مشارب، آنية، عابد، عابدون.

وانفرد ابن ذكوان بإمالة الألف في كل من: إكراههن، الإكرام، عمران، المحراب.

٥- ليست الإمالة أثرًا من آثار اللهجات العربية القديمة كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور كمال بشر بقوله في سياق إشارته إلى كلام ابن جني في الإمالة: «كما أن ابن جني أشار في ثنايا هذه التفاصيل إلى أنواع ثانوية من الحركات، أهمها تلك الحركات المختلفة التي جمعت تحت باب (الإمالة) وذلك كالفتحة المشوبة بالكسرة، وألف المد حين تُمال فتصبح مَشوبة بنوع من الكسر. وهذا النوع من الحركات سوف

لا نتعرض له هنا أيضًا –لأنه في رأينا– أثر من آثار اللهجات المحلية القديمة»[١].

فالدكتور كمال بشر هنا لا يولي الإمالة اهتمامًا، لأنها في نظره حركة ثانوية ولأنها أثر من آثار اللهجات المحلية القديمة، وهو بذلك ينزع عنها صفة الفصاحة.

والحق أن الإمالة مظهر من مظاهر اللغة الفصحى، لها أصولها وقواعدها في العربية، والدليل على ذلك أن كل قارئ من القراء له نصيب في الإمالة حتى (حفص) الذي نقرأ بروايته لم يحرم من الإمالة، فقد أمال الألف بعد الراء في قوله تعالى: ﴿ بسم الله مجريها ﴾[٢].

(١) علم اللغة العام (الأصوات)، ص١٤٨.
(٢) هود: ٤١.

obeikandl.com

مذهب ابن عامر
في حركة التخلص من التقاء الساكنين

إذا اجتمع ساكنان في كلمتين، وكان الساكن الأول في آخر الكلمة الأولى، والساكن الثاني في الكلمة الثانية، وكان أول الثانية همزة وصل تضم عند الابتداء بها، وكان الحرف الثالث في هذه الكلمة الثانية مضمومًا ضمة لازمة فقد اختلف القراء في الساكن الأول مع إجماعهم على تحريكه للتخلص من التقاء الساكنين؛ أي أن القراء اختلفوا في حركة الساكن الأول، فمنهم من حرَّكه بالكسر، ومنهم من ضمه لأجل ضم الحرف الثالث في الكلمة الثانية، ضمة للإتباع كراهة الانتقال من كسر إلى ضم، ولا اعتداد بالحرف الساكن بينهما، لأن الحرف الساكن حاجز غير حصين[1].

والساكن الأول في القرآن حرف من الحروف الآتية: «التاء، الدال، اللام، والنون والتنوين، الواو» وذلك نحو الأمثلة الآتية:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾[2]، ﴿ وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾[3]، ﴿ محظورا * انظر ﴾[4].

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾[5]، ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ ﴾[6].

ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم، فقد قرأ ابن عامر بضم الساكن الأول؛ أي

(١) الوافي في شرح الشاطبية، ص٢١٣.
(٢) البقرة: ١٧٣.
(٣) يوسف: ٣١.
(٤) الإسراء: ٢٠، ٢١.
(٥) الإسراء: ١١٠.
(٦) الأنبياء: ٤١.

بضم النون والتاء والتنوين واللام والواو والدال اتباعًا لضمة الحرف الثالث من الكلمة الثانية تخلصًا من التقاء الساكنين. هذا إذا كان الساكن الأول غير تنوين، أما إذا كان الساكن الأول تنوينًا، فإن هشامًا وحده يقرأ بضم الساكن الأول، أما ابن ذكوان فيقرأ بكسر الأول وهو: التنوين إلا في موضعين، فيروى عنه فيهما الكسر والضم، وهما: ﴿ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾[١]، ﴿ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ﴾[٢] وفي غير هذين الموضعين ليس له إلا كسر التنوين[٣].

وتحريك الساكن الأول بالكسر هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين، أما تحريكه بالضم فيجيء لعلة صوتية بينتها كتب القراءات واللغة، فقال ابن خالويه: «فالحجة لمن ضم أنه لما احتاج إلى حركة هذه الحروف كره الخروج من كسر إلى ضم، فأتبع الضم الضم ليأتي باللفظ من موضع واحد»[٤] وقال ابن الأنباري: «فمن ضم -أي: الساكن الأول- فللإتباع استثقالًا وكراهية للخروج من كسر إلى ضم، ولهذا ليس في كلامهم ما هو على وزن (فعل) بكسر الفاء وضم العين»[٥] على أن الميل إلى الضم من المظاهر الصوتية التي تختص بها القبائل البدوية لأنها مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدت القبائل البدوية تضم، والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان لأنهما من أصوات اللين الضيقة[٦].

ومما يلاحظ أن خلاف القراء حول حركة التخلص من التقاء الساكنين ينحصر في الكسرة والضمة دون الفتحة، ويرجع السر في هذا إلى أن الشبه بين الكسرة والضمة أقوى من الشبه بينهما وبين الفتحة، وهذا التشابه لا ينحصر في ضيق المخرج

---

(١) الأعراف: ٤٩.
(٢) إبراهيم: ٢٦.
(٣) شرح ابن القاصح على الشاطبية ص٢٠٥، ٢٠٦، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٥).
(٤) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ص٩٢.
(٥) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، ص١٣٧.
(٦) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص٣٨، واللهجات العربية ص٦٩.

عند النطق بهما فقط – كما قرر ذلك الدكتور إبراهيم أنيس– وإنما يتمثل كذلك في أن كلًّا من الضمة والكسرة حركة انتقالية تتحكم فيها الأصوات الصامتة المجاورة لها في نطق الكلمة وليست حركة مستقلة كالفتحة.

ولعل ما يؤكد ذلك ما ذهب إليه المستشرق «برجستراسر» من أن «الكسرة والضمة كانتا حرفين انتقاليين فهما حركتان ناقصتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت، بل صوتها تابع للحروف الصامتة السابقة والتالية لهما في الكلمة»[١].

والميل إلى الضم عند ابن عامر لا يتضح في طريقة التخلص من التقاء الساكنين فقط، بل يتضح أيضًا في ضمه لـ (هاء) التنبيه المتصلة بـ «أي المنادى» فقد ضم ابن عامر الهاء في (أيه) وصلًا وسكنها وقفًا في ثلاثة مواضع في القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢] ، ﴿ يَتَأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ ﴾[٣] ﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[٤]، فقد ضم ابن عامر (هاء) التنبيه على الاتباع لضم الياء قبلها[٥]. وقد استبعد العكبري قراءة الضم فقال: (أيها) الجمهور على فتح الهاء في الوصل لأن بعدها ألفًا في التقدير وضمها بعيد[٦].

وعلى أي فإن ضم الهاء جائز لوروده عن العرب (فهي لهجة) بنى مالك من (بني أسد)، فيقولون: يا أيه الناس (بضم الهاء)[٧]. ويحلل الأشموني ضم الهاء هنا

---

(١) التطور النحوي للغة العربية للمستشرق برجستراسر، ص٣٦، طبعة مصورة عن طبعة ١٩٢٩م التي عنى بطبعها محمد حمدي البكري. وانظر: تفصيل أوجه التشابه بين الكسرة والضمة في هذا المرجع، ص٣٤-٣٧.

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) الزخرف: ٤٩.

(٤) الرحمن: ٣١.

(٥) النشر لابن الجزري (٢/ ١٤٢).

(٦) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/ ٩٦٩).

(٧) الهمع للسيوطي (٢/ ١٧٥).

بأنه تعويض لـ (أي) عما فاتها من الإضافة[١].

وإن كان ضم الهاء هنا اتباعًا لحركة سابقة، فإن ضم الساكن الأول في التخلص من التقاء الساكنين اتباع لحركة لاحقة، وعلى كلتا الحالتين فإنه قصد بذلك تحقيق الانسجام الصوتي بين الكلمات.

(١) شرح الأشموني على الألفية (٣/ ١٥٠).

obeikandl.com

إجراء الوصل مجرى الوقف

استكمالًا لقضايا الحركة المتصلة بقراءة ابن عامر، أتعرض هنا لمسألة إجراء الوصل مجرى الوقف، لأن الحركة في العربية تعقب الصوت الصامت الذي لا يوقف عليه أو المبتدأ به في الكلام، وأنها لا تعقبه إذا وقعت عليه بل تحذف الحركة ويصبح الصوت الصامت الموقوف عليه ساكنًا.

هذا إن وُقِف على صوت صامت، أما إن وُقِف على حركة، فإن المعهود في اللغة اجتلاب هاء السكت للوقف عليها حماية للحركة من الحذف: كوقفهم على (ما) الاستفهامية المجرورة، وعلى ياء المتكلم المحركة بالفتح.

وللوقف على آخر الكلمة في العربية صور متعددة مذكورة في كتب اللغة منها: الوقف بالسكون: «وهو الأصل في الوقف على المتحرك، وذكروا أنه لما كان الأصل شيئين: أحدهما أن الحرف الموقوف عليه مضاد للحرف المبتدأ به لأن الوقف هو الانتهاء، والانتهاء مضاد للابتداء، فينبغي أن تكون صفة الانتهاء مضادة لصفة الابتداء، والابتداء لا يكون إلا بمتحرك فيكون الوقف ساكنًا. والآخر أن الوقف موضع استراحة لأنه موضع يضعف فيه الصوت فاختاروا للحرف الموقوف عليه أخف الأحوال وهو السكون»[1].

ومن خواص الوقف أيضًا «هاء السكت» وأكثر ما تزاد بعد شيئين: أحدهما الفعل المعتل المحذوف الآخر جزمًا نحو «لم يعطه» أو بناء نحو «أعطه»، والثاني «ما» الاستفهامية إذا جرت بحرف نحو «على مه»، «لمه»، أو جرت بالإضافة نحو

(١) همع الهوامع للسيوطي (٢/ ٢٠٧).

«اقتضاء منه»[١].

وقد يجرى الوصل مجرى الوقف في إثبات هاء السكت، وقد أثبت ابن عامر «هاء» السكت وصلًا ووقفًا في أربعة مواضع في القرآن الكريم أبينها على النحو التالي:

الأول:

في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ ﴾[٢]، فقد أثبت ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر الهاء الساكنة في (يتسنه) وصلًا ووقفًا[٣].

وحذف الهاء في الوصل حمزة والكسائي واتفقوا على إثباتها في الوقف[٤]، قال ابن الأنباري: «فيه وجهان: أحدهما أن يكون أصله (يتسنن) من قوله: (حمأ مسنون) أي متغير، فقلبت النون الثالثة ياء كراهية اجتماع ثلاث نونات كما قالوا: (تظنيت) في (تظننت) ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار (يتسنى) ثم حذفت الألف للجزم فصار (يتسن) وأدخلت عليه هاء السكت لبيان حركة النون في الوقف. والثاني أن يكون من (تسنه وسانهت) وهو يتفعل من السنة، فيكون المعنى لم يتغير بمر السنين»[٥]. فعلى الوجه الأول تكون الهاء للسكت تثبت عند الوقف فقط، فيكون ابن عامر بإثبات الهاء في الوصل قد أجرى الوصل مجرى الوقف. أما على الوجه الثاني فتكون الهاء أصلية في الكلمة وهي لام الفعل، ومن ثم لا تسقط الهاء وصلًا ووقفًا. ويبدو أن الوجه الثاني هو الأقرب إلى قراءة ابن عامر.

---

(١) شرح الأشموني على الألفية (٤/ ٢١٤، ٢١٥).

(٢) البقرة: ٢٥٩.

(٣) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٨٨-١٨٩، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٩٢).

(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص١٨٨-١٨٩.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ١٧١).

الثاني:

قوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴾[١] فقد أثبت ابن عامر الهاء في (اقتده) وصلًا ووقفًا، إلا أنه يكسرها في الوصل، واختلف عنه راوياه، فابن ذكوان يشبع الكسر حتى يتولد منه ياء، بينما يختلس هشام الكسر[٢].

وقد أثارت هذه القراءة جدلًا بين أهل اللغة والقراءات، ومرجع هذا الجدل إلى أن هاء السكت لا يحتاج إليها عند الوقف إلا لبيان الحركة؛ أي حركة الحرف الموقوف عليه. قال ابن مجاهد: «وهذا غلط لأن الهاء هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال، وإنما تدخل لبيان حركة ما قبلها»[٣].

ولذلك حاول بعضهم أن يخرج الهاء على أنها ضمير وليست للسكت، فقال ابن الأنباري: «ومن قرأ بكسر الهاء (في الوصل) جعلها كناية عن المصدر أي (اقتد الاقتداء) وقيل: إنه شبه هاء السكت بهاء الضمير فكسرها وهو ضعيف جدًّا»[٤]، كما ضعَّف العكبري أيضًا أن تكون الهاء هنا للسكت وقال: «وهذا ليس بشيء»[٥]، وضعَّف القرطبي أيضًا قراءة ابن عامر وخاصة قراءة هشام باختلاس كسرة الهاء، فقال -بعد أن نقل إنكار النحاس لهذه القراءة-: «وهو غلط لا يجوز في العربية»[٦]. وقال أبو حيان: «وتغليط ابن مجاهد قراءة الكسر غلط منه وتأويلها على أنها هاء السكت ضعيف»[٧].

---

(١) الأنعام: ٩٠.
(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٦٢، وشرح ابن القاصح ص٥٧.
(٣) المرجع السابق ص٢٦٢.
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٣٣٠).
(٥) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥١٧).
(٦) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤٧٢) طبعة دار الشعب.
(٧) البحر المحيط (٤/ ١٧٦).

ويبين من هذا أن بعضهم يغلط القراءة كابن مجاهد وبعضهم يقبل القراءة، إلا أنه يضعف أن تكون الهاء للسكت ويرجح أن تكون ضميرًا لمصدر مأخوذ من الفعل وهو الاقتداء؛ أي تكون الهاء في موضع المفعول المطلق، أما تغليط القراءة أو إنكارها، فلا سبيل إلى ذلك لأنها قراءة متواترة أجمع الناس على قبولها. وأما من حيث كون الهاء ضميرًا وليست للسكت فلا مانع من ذلك ما دام سائغًا في العربية، كما أنه لا مانع أن تكون الهاء للسكت وكسرت تشبيهًا لها بهاء الضمير.

الثالث:

قوله تعالى: ﴿ ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه ﴾[١]، فقد قرأ حمزة بحذف الهاء وصلًا من (ماليه – سلطانيه)، وقرأ الباقون بإثبات الهاء فيهما وصلًا وهي قراءة ابن عامر، ولا خلاف بينهم في إثباتها وقفًا لتحصين حركة ياء المتكلم[٢].

وإثبات الهاء في الوصل هنا لبيان حركة الياء وهي الفتحة ولتتفق رءوس الآي[٣].

الرابع:

قوله تعالى: ﴿ وما أدراك ما هيه * نار حامية ﴾[٤]، فقد قرأ حمزة بحذف الهاء الساكنة من (هيه) وقرأ الباقون بإثباتها في الوصل، ولا خلاف بينهم في إثباتها وقفًا[٥].

(١) الحاقة: ٢٨، ٢٩.
(٢) غيث النفع في القراءات السبع، ص٣٤٩.
(٣) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٣٧).
(٤) القارعة: ١٠، ١١.
(٥) غيث النفع في القراءات السبع، ص٣٨٢.

ففي هذه المواضع الأربعة يثبت ابن عامر الهاء وصلًا ووقفًا.

ومن صور الوقف على آخر الكلمة: الوقف بالألف غير المبدلة من التنوين ولكنها تكون إشباعًا لفتحة الحرف الأخير من الكلمة إظهارًا للحركة نحو ضمير المتكلم «أنَ» وهو كثير في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَاْ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[١]، فقد قرأ نافع بإثبات الألف بعد النون في ﴿ إِنَّا ﴾ وصلًا ووقفًا وأثبتها الباقون وقفًا فقط وهي قراءة ابن عامر[٢]. فأكثر القراء إذن يقفون على ضمير المتكلم بالألف، لأن أصله الهمزة والنون (أنَ) وإنما زيدت الألف عليها في الوقف لبيان حركة النون، فإذا وصل بما بعده حذفت الألف للاستغناء عنها[٣].

وفي نون ضمير المتكلم لغتان: السكون والفتح «والأكثرون على فتحها وصلًا، وعلى الإتيان بالألف وقفًا»[٤]، وقد أثبت ابن عامر الألف بعد النون في ضمير المتكلم (أنا) وقفًا وحذفها وصلًا في جميع القرآن، إلا في موضع واحد أثبت فيه الألف وصلًا ووقفًا وهو قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[٥]، فقد أثبت ابن عامر الألف بعد النون وصلًا ووقفًا في (لكنا)[٦] لأن الأصل (لكن أنا) بسكون نون (لكن) ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى النون ثم أدغمت النون في النون فصارت الكلمة (لكنا)، وسيأتي تفصيل ذلك في الدراسة النحوية عند الكلام عن الضمير إن شاء الله.

ومما أشبع ابن عامر فتحته ألفًا في الوصل والوقف ثلاث كلمات في القرآن هي:

---

(١) البقرة: ٢٥٨.
(٢) غيث النفع في القراءات السبع، ص٧٢.
(٣) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٢٠٧).
(٤) مغنى اللبيب (١/ ٢٧).
(٥) الكهف: ٣٨.
(٦) السبعة في القراءات، ص٣٩١.

﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾، ﴿ وأطعنا الرسولا ﴾، ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾[١]، فقد أثبت ابن كثير والكسائي وحفص الألف في (الظنونا – الرسولا – السبيلا) وقفًا وحذفوها وصلًا، وأثبت ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ونافع الألف فيهن وصلًا ووقفًا وحذف أبو عمرو وحمزة الألف وصلًا ووقفًا[٢]. فإثبات الألف هنا لأنها فاصلة وفواصل الآيات تشبه رءوس الأبيات[٣]. «ولأن المصاحف اتفقت على رسم الألف في الثلاثة دون سائر الفواصل»[٤].

ويلاحظ أن ابن عامر في ذلك كله يجري الوصل مجرى الوقف في كل من هاء السكت وألف الإطلاق، وبعض النحاة يعد ذلك قليلًا في النثر كثيرًا في الشعر للضرورة[٥].

ولعل إجراء الوصل مجرى الوقف لغة شائعة عن العرب اختيارًا لا ضرورة بدليل ورودها في القرآن واتفاق معظم القراء عليها، ويجب أن يتخذ القرآن دليلًا واضحًا على شيوع هذه اللغة. قال أبو حيان: «وهذا كثير لا يكاد ينحصر، ومثاله اختيارًا ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ ﴾، ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ أثبت الهاء في الوصل إجراء له مجرى الوقف»[٦].

---

(١) الأحزاب: ١٠، ٦٦، ٦٧.
(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٥١٩)، وابن القاصح (٣٥١).
(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٢٦٥)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٥٣).
(٤) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٤٨).
(٥) الهمع (٢/ ٢١١)، حاشية الصبان (٢/ ٢١٩، ٢٢٠).
(٦) الهمع (٢/ ٢١١).

الفصل الثاني
الأصوات الصامتة

تناولت في الفصل السابق ما يدور حول الحركة في قراءة ابن عامر، فتحدثت عن أحوال حركة هاء الكناية وموقف ابن عامر منها من حيث ضمها وكسرها، ومن حيث قصرها وطولها -أي: اختلاسها وصلتها كما يعبر بذلك علماء القراءات- كما تحدثت عن المد والقصر في حروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء، وعن الفتح والإمالة، وعن حركة التخلص من التقاء الساكنين، وعن إجراء الوصل مجرى الوقف.

وهنا أتحدث عن مظاهر الأصوات الصامتة في قراءة ابن عامر من خلال إبراز موقفه من الهمز في القرآن الكريم، وموقفه من ظاهرتي الإظهار والإدغام. وإذا كانت الحركة هي الصوت الذي يخرج الهواء أثناء النطق به حرًّا طليقًا دون عارض يعترض طريقه، كما يحدث ذلك عند نطق الحركات: الفتحة والضمة والكسرة - طويلة كانت أو قصيرة- فإن الصوت الصامت هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء سواء كان الاعتراض كاملًا أو جزئيًّا[1]. وهذا المفهوم ينطبق على الأصوات العربية كلها باستثناء الحركات، كما تقدم.

وفيما يلي أتحدث عن أحوال الهمز في القرآن الكريم وموقف ابن عامر منها، وعن المواضع الخلافية فيما يتعلق بالإظهار والإدغام، وموقف ابن عامر من ذلك، وسأتناول ذلك كله على ضوء ما قرره علم اللغة الحديث.

---

(١) علم اللغة العام «الأصوات»، للدكتور كمال محمد بشر، ص٧٤، ط. دار المعارف.

الهمز:

للهمز في اللغة العربية حالات متعددة، وهي كذلك في القرآن الكريم، فقد تجيء الهمزة مفردة في الكلمة سواء كانت في أولها أو متوسطة أو متطرفة، وقد تجيء الهمزة مجتمعة مع همزة أخرى في كلمة أو كلمتين، ولابن عامر في كل حالة من هذه الحالات مذهب في القراءة.

والهمز في اللغة هو الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط، ويقال: قد همزت الحرف فانهمز[١].

وفيما يلي أتتبع أحوال الهمز في القرآن الكريم على قراءة ابن عامر:

الهمزة المفردة:

الهمزة هي أبعد الأصوات اللغوية مخرجًا. وقبل أن أتعرض لوصف الهمزة ومكانة هذا الصوت في العربية، أُبيِّن موقف ابن عامر من بين القراء من الهمزة في قراءته.

والمقصود بالهمزة المفردة هنا هي الهمزة المتوسطة في الكلمة؛ أي الواقعة فاء للكلمة أو عينًا لها، أما الهمزة المتطرفة، فلابن عامر منها موقف عند الوقف عليها سأبينه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وتعني كتب القراءات بالهمز المفرد" الذي لم يجتمع معه غيره[٢].

ويأتي الهمز على ضربين: ساكن ومتحرك. ويقع فاء من الفعل وعينًا ولامًا.

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٦٩٨).

(٢) شرح ابن القاصح، ص٩٢.

وإذا كان الهمز ساكنًا فقد يكون ما قبله مضمومًا نحو: (يؤمنون – يؤتى)، أو مكسورًا نحو: (بئس – جئت)، أو مفتوحًا نحو: (فأذنوا – وأتوا) أما الهمز المتحرك فنحو: (يؤاخذ – يؤلف)[١].

وقد أجمعت كتب القراءات على أن الأصل لابن عامر في الهمز المفرد بأنواعه أن يقرأه بالتحقيق، ولكنه خرج عن هذا الأصل في مواضع محددة في القرآن لم يهمز فيها، ولم يخرج ابن عامر عن أصله من التحقيق في الهمز المفرد المتحرك كذلك في الكلمات الآتية:

(رئاء – لنبوئنهم – الصابئون – مستهزءون – متكئون – فمالئون – ليواطئوا – يطفئوا – استهزءوا – يطئون – رءوف – هزؤا – أرأيتكم – ها أنتم – كفؤا – واللائي والبريئة) من رواية ابن ذكوان، فقد قرأ ابن عامر في كل هذه المواضع ونحوها بتحقيق الهمز؛ أي بنطق الهمزة دون تخفيفها بإبدال أو تسهيل[٢].

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن همز أنه أتى بالكلمة على أصلها وكمال لفظها لأن الهمزة حرف صحيح، معدود في حروف المعجم»[٣].

وقال ابن منظور: «أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون (أي: لا يهمزون)، وإذا اضطروا نبروا»[٤].

«وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد»[٥].

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٨٤).
(٢) شرح ابن القاصح ص٩٢، الوافي في شرح الشاطبية ص٩٨-١٠٣، النشر لابن الجزري (١/ ٣٨٤).
(٣) الحجة في القراءات السبع، ص٤٠.
(٤) لسان العرب (١/ ٢٦).
(٥) في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس، ص٧٨.

ويبدو أن تخفيف الهمزة بتسهيل ونحوه يجيء مع السرعة في نطق الألفاظ، وأن تحقيق الهمزة يجيء مع التأني في النطق، كما يبدو أيضًا أن تخفيف الهمزة خاصة لهجية، لأن كل قبيلة تنطق الهمزة وفق تقاليدها في نطق الأصوات وما تعودت عليه ألسنتهم، وهذا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس من أن تحقيق الهمزة كان سمة من سمات اللغة الأدبية التي تكونت قبل ظهور الإسلام، وفي ذلك يقول: «من الممكن أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية»[١].

ويوضح الدكتور عبد الصبور شاهين ذلك كله بقوله: «من الحقائق المشهورة عن النطق العربي، أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية، التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها؛ تميم وما جاورها، وأن عدم الهمز خاصة حضرية، امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها»[٢].

وإذا كان تحقيق الهمزة خاصة بدوية، وتخفيفها خاصة حضرية، فإنه يمكن القول بأن تحقيق الهمزة هو الأصل في اللغة العربية المشتركة التي كانوا يستخدمونها في محافلهم واجتماعاتهم، وفي المواقف التي تستدعي مزيدًا من الإيضاح في القول، وهذا يفسر ما جاء في مقدمة لسان العرب من أن الحجازيين إذا اضطروا نبروا؛ أي تحدثوا بتحقيق الهمزة، أما تخفيف الهمزة فهو أثر من آثار تعدد اللهجات.

وصف الهمزة:

لقد درج القدماء من علماء اللغة والقراءات على عد الهمزة أحد حروف الحلق الستة وهي: (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) إلا أنهم وصفوا مخرج الهمزة والهاء بأنه أقصى الحلق[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٣٠.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جنى (١/ ٥٠)، النشر (١/ ١٩٩).

وللقدماء عذرهم في ذلك، فقد كانوا يعتمدون في وصفهم للحرف على نطقهم الشخصي له، ولم يكن لديهم من الوسائل العلمية ما يجعلهم يتوصلون إلى الوصف الدقيق للحرف، أو إلى معرفة مخرجه، كما أتيح ذلك لعلماء اللغة المحدثين.

أما صوت الهمزة –كما يرى علم اللغة الحديث– فهو صوت حنجري؛ أي يخرج من الحنجرة، وذلك عندما ينطبق الوتران انطباقًا تامًّا بحيث ينقطع النفس ويحتبس الهواء خلف الوترين ثم ينفتح الوتران فجأة، فيندفع الهواء مُحدثًا صوت الهمزة، فهو صوت انفجاري شديد[١].

يتبين من هذا أن عملية نطق الهمزة «تتم بمرحلتين؛ المرحلة الأولى: مرحلة انطباق الوترين، وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس، والمرحلة الثانية: مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة مُحدثًا انفجارًا مسموعًا. وهاتان المرحلتان متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الأخرى. ويمكن القول –على ما يفترضون– بأن المرحلة الأولى وهي مرحلة قطع النفس، أهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية، ومن ثم كانت تسميتها همزة قطع»[٢].

ولابد من ملاحظة أن انفتاح الوترين الصوتيين فجأة بعد احتباس النفس خلفهما ثم إحداث انفجار ينطبق على تكوين الهمزة المتحركة التي تعقبها حركة بالضم أو الفتح أو الكسر طويلة كانت أم قصيرة. أما الهمزة الساكنة سكونًا لازمًا نحو (يؤمنون) أو سكونًا عارضًا للوقف كأن يقف القارئ على (اقرأ) أو (يشاء) فيتم تكوينها بانقطاع النفس أو الهواء المندفع من الرئتين حين ينطبق الوتران الصوتيان حينئذ لا تشكل عملية انفتاح الوترين أهمية كبيرة إذ لا يسمع صوت انفجار، ولعل هذا ما جعلهم يولون مرحلة انقطاع النفس أهمية أكبر في تكوين

(١) علم الأصوات، د/ كمال بشر، ص١١٢، القراءات القرآنية، د/ عبد الصبور شاهين، ص٢٤.
(٢) علم الأصوات، ص١١٢.

الهمزة.

أما من حيث الجهر والهمس، فقد اختلف علماء اللغة في وصف الهمزة؛ فمنهم من ذهب إلى أن الهمزة صوت مهموس لأن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان حال النطق بها، وذهب بعضهم إلى أنها صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور لأن وضع الوترين الصوتيين حال النطق بها يكون مغايرًا لوضعهما حال النطق بكل من الأصوات المهموسة والمجهورة[١]. وأظن أن الرأي الثاني أقرب إلى تصور طبيعة الهمزة؛ لأن الوترين الصوتيين عندها يكونان في حالة انطباق تام، والذبذبة وعدم الذبذبة لا يحدثان إلا مع انفتاح الوترين الصوتيين[٢].

وفي هذه الحالة يمكن تصنيف الأصوات العربية إلى ثلاثة أقسام من حيث الجهر والهمس؛ فقسم ينفتح معه الوتران الصوتيان مع الذبذبة وهو الأصوات المجهورة، وقسم ينفتح معه الوتران الصوتيان من غير ذبذبة وهو الأصوات المهموسة، وقسم يحتبس فيه النفس خلف الوترين الصوتيين عند انطباقهما ولا يدخل تحت هذا القسم إلا الهمزة كما سبق.

أما القول بجهر الهمزة، فقد ذهب إليه الأقدمون كسيبويه وابن جنى ومن تبعهما من علماء اللغة والقراءات، ولم يقل بجهر الهمزة من اللغويين المحدثين أحد[٣].

المواضع التي لم يهمز فيها:

ذكرت سابقًا أن ابن عامر خالف أصله من تحقيق الهمز المفرد في مواضع محددة في القرآن فقرأ فيها بترك الهمز، وأبينها فيما يلي:

---

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٤.

(٢) علم الأصوات، ص١١٢.

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٤.

الأول:

لقد قرأ القراء السبعة إلا نافعًا كل ما جاء في القرآن من لفظ (النبي) المفرد و(النبيين) الجمع بياء مشددة، وكل ما جاء من لفظ (الأنبياء) وهو جمع تكسير بياء خفيفة بعد الباء و(النبوة) المصدر بواو مشددة. أما نافع فقد همز ذلك كله فيقول: (النبيء) و(النبيئين) و(الأنبئاء) و(النبؤة)[١].

فعلى قراءة ابن عامر بترك الهمزة فيكون في أصل هذه الألفاظ احتمالان:

١- «فيحتمل أن تكون مأخوذة من (النباوة) التي بمعنى الارتفاع لارتفاع أمر النبي عليه السلام وشأنه»[٢] وفي هذه الحالة تكون قراءة ابن عامر لهذه الألفاظ متمشية على مذهبه من تحقيق الهمز إذ إن هذه الألفاظ ليست مهموزة.

٢- «ويحتمل أن تكون من (النبأ) وهو الخبر فأبدل من همزته ياء وأدغم الياء في الياء»[٣]. بالنسبة للنبي والنبيين، وأبدل منها ياء خفيفة بالنسبة للأنبياء، وأبدل منها واوًا ثم أدغم الواو في الواو بالنسبة للنبوة.

وعلى الوجه الثاني يكون ابن عامر مخففًا للهمز في هذه الألفاظ اتباعًا للأشيع والأكثر في نطق هذه الألفاظ. وقد جاء في الحديث أن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبيء الله -بالهمز- فقال عليه السلام: «**إنما أنا نبي الله**» -بغير همز- وإنما قال له عليه السلام بغير همز لأن الهمز لم يكن من لغته، فلذلك ترك همزه[٤]. وجاء في المعاجم العربية في مادة (نبأ) «ومنه النبي لأنه أنبأ عن الله، وهو فعيل بمعنى فاعل تركوا همزه كالذرية والبرية والجابية، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون

(١) شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص١٩٣، ١٩٤.
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٨٨).
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

الأربعة، وفي مادة (نبأ – ينبو): فإن جعل (النبي) مأخوذًا منه أي أنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز وهو فعيل بمعنى مفعول»[١].

وربما ظن أحد أن تعارضًا بين ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه فضَّل أن يقال له: (نبي الله) من غير همز وما ذكرته المراجع من أن الهمزة في هذه الألفاظ لغة مكة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة، فكان من المتوقع أن تكون لغة الرسول صلى الله عليه وسلم في لفظ (النبي) بالهمز، ولكن يبدو أن اعتراض الرسول صلى الله عليه وسلم على الرجل الذي قال له: «يا نبيء الله» لم يكن يعني به رفض هذه اللغة من حيث إنها لغة، ولكن يعني بهذا الاعتراض أنه يفضل اللغة الشائعة حتى وإن اختلفت عن لغة بلده، ثم إن ترك الهمز في هذه الألفاظ يجعلها أكثر اتساعًا في المعنى، فإن (النبي) بترك الهمز يحتمل معنى الإخبار عن الله تعالى ومعنى الشرف والرفعة، وهذان الاحتمالان لا يوجدان في الهمز.

الثاني:

وقد قرأ ابن عامر أيضًا بترك الهمز في (بادي) وهي قراءة الجمهور، أما أبو عمرو البصري وحده فقد قرأ (بادئ) بالهمز[٢]. وهو في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾[٣]، ففي (بادي) على قراءة ابن عامر بياء مفتوحة بعد الدال من غير همز احتمالان:

١ – أن يكون من (بدا – يبدو) أي ظهر اسم فاعل بمعنى (ظاهر الرأي)[٤]، وعلى هذا يكون في الكلمة إعلال بقلب الواو ياء لتطرفها وكسر ما قبلها.

(١) مختار الصحاح، ص٦٤٢-٦٤٤.
(٢) غيث النفع، ص١٦٥.
(٣) هود: ٢٧.
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ١١).

٢- ويحتمل أن يكون من (بدأ)، قال الفراء: «ولو قرأت (بادئ الرأي) فهمزت تريد أول الرأي لكان صوابًا»[١].

فإن أريد الاحتمال الأول كان ابن عامر باقيًا على أصله من تحقيق الهمز إذ لا تكون الكلمة مهموزة أصلًا، وإن أريد الاحتمال الثاني فيكون ابن عامر قد خرج عن أصله في هذه الكلمة فقرأها بتخفيف الهمز.

الثالث:

ومما قرأه ابن عامر بترك الهمز (ياجوج وماجوج) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ﴾[٢]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[٣] «فقد همز هاتين الكلمتين عاصم ولم يهمزهما غيره»[٤].

فقراءة ابن عامر ومن معه تكون بألف بعد الياء والميم وهما «اسمان أعجميان بدليل منع الصرف»[٥].

وعلى احتمال أنهما اسمان أعجميان تكون الألف أصلية وليست مبدلة من همزة، وعلى هذا لا يكون ابن عامر قد خرج في قراءته عن الأصل، ويحتمل أن تكون الألف في (يأجوج ومأجوج) مبدلة من همزة أصلية على سبيل التخفيف، هذا إن كان لهذين الاسمين أصل في الاشتقاق العربي كما جاء في لسان العرب: «واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من: أجت النار، ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة المحرق من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يأجوج يفعول، وفي مأجوج

(١) معاني القرآن (٢/ ١١).
(٢) الكهف: ٩٤.
(٣) الأنبياء: ٩٦.
(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٩).
(٥) الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٠٢).

مفعول»[١].

وقد يحتمل أن تكون الألف فيهما زائدة، وحينئذ يكون ابن عامر في قراءته لهما بالألف متبعًا للأصل، وأن الياء في (يأجوج) والميم في (مأجوج) فاء للكلمة، ويكون وزن كل منها (فاعول). قال ابن منظور: «ومن لم يهمز وجعل الألفين زائدتين يقول: ياجوج من يججت، وماجوج من مججت وهما غير مصروفتين»[٢]. «هذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقًا، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية»[٣].

الرابع:

ومما قرأه ابن عامر بترك الهمز (رئيا) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[٤]، فقد قرأ قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر (ريا) بياء مشددة من غير همز والباقون بياء مخففة قبلها همزة ساكنة[٥].

قال الفراء في وجه القراءة بغير الهمز: «وهو وجه جيد؛ لأنه مع آيات لسن مهموزات الأواخر. وقد ذُكِر عن بعضهم أنه ذهب بالري إلى رويت»[٦] (أي: رويت أبدانهم).

وإذا إحتمل أن تكون (ريا) من (رويت) فلا يكون في الكلمة إبدال الهمزة ياء، بل يكون فيها قلب الواو ياء، لأن الأصل فيها (رويا) بكسر الراء وسكون الواو، فلما اجتمعت الراو والياء والأول منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. أما

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٣١).
(٢) المرجع السابق (١/ ٣١).
(٣) المرجع السابق (١/ ٣١).
(٤) مريم: ٧٤.
(٥) غيث النفع في القراءات السبع، ص ٢٢٠.
(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧١).

إن كانت الكلمة مأخوذة من فعل مهموز العين فيكون فيها إبدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، لأن كل همزة ساكنة بعد كسر، فإنها يجوز أن تقلب ياء، كما قالوا في بئر: بير، وفي ذئب: ذيب، فلما قلبت ياء أدغمت في الياء التي هي لام الكلمة فصارت (ريا)[١].

الخامس:

ومما قرأه بترك الهمز أيضًا (مؤصده)[٢]، فقد قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز والباقون بواو ساكنة بعد الميم المضمومة[٣] وهي قراءة ابن عامر.

«واختلف أهل العربية في اشتقاقه؛ فذهب قوم -وأبو عمرو منهم- إلى أن أصله (أأصدت) أي: أطبقت فله أصل في الهمزة. وقال آخرون: هو من (أوصدت) فلا أصل له في الهمز»[٤] وعلى الاحتمال الثاني لا يكون ابن عامر خارجًا عن أصله من تحقيق الهمز إلى الإبدال في هذا الموضع.

قال ابن خالويه: «ومن لم يهمز أخذه من أوصدت»[٥].

السادس:

ومما قرأه بترك الهمزة أيضًا لفظ (البرية) وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾[٦]. فقد قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر (البريئة) بياء ساكنة ثم همزة مفتوحة وقرأه الباقون (البرية) بياء مشددة مع ترك

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ١٣٤).
(٢) البلد: ٢٠ والهمزة: ٨.
(٣) الإرشادات الجلية في القراءات السبع لمحمد محيسن، ص٥١٩.
(٤) شرح ابن القاصح على الشاطبية، ص٩٥.
(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص٩٥.
(٦) البينة: ٦، ٧.

الهمزة وهي أيضًا قراءة ابن عامر من رواية هشام[١].

قال الفراء: «هي من برأ الله الخلق؛ أي خلقهم، والبرية الخلق وأصلها الهمز، وقد تركت العرب الهمزة فيها ونظيرها (النبي والذرية) وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون (البريئة). وقال أيضا: إذا أخذت البرية من البرى وهو التراب فأصلها غير الهمز»[٢].

ويتضح من تحليل المواضع التي قرأ فيها ابن عامر بترك الهمزة أنها ليست مهموزة قطعًا بمعنى أنه لا يمكن القطع فيها باحتمال واحد وهو أن ابن عامر أبدل فيها الهمز واوًا أو ياء، بل إن هذه المواضع كما سبق تقبل احتمالات أخرى غير الهمز، ومن ثم فلا مانع أن يكون ابن عامر قد قصد في اختياره لهذه القراءات تلك الاحتمالات الأخرى.

اجتماع الهمزتين في كلمة وفي كلمتين:

لاجتماع الهمزتين في كلمة واحدة ثلاث صور في القرآن وهي:

١ - أن تكون الهمزتان مفتوحتين.

٢ - أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٣ - أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مضمومة[٣].

ويتبين بعد هذا التقسيم أن الهمزة الأولى لا تكون إلا مفتوحة، كما يتبين أن الهمزتين متحركتان.

---

(١) الإرشادات الجلية في القراءات السبع، ص٥٢٢.
(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٨٢)، لسان العرب (١/ ٢٤٠).
(٣) إعراب القرآن للزجاج (١/ ٣٥٧-٣٦١).

ومن أمثلة النوع الأول:

قوله تعالى: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾[١] ، ﴿ ءَأَعْجَمِيٌّ ﴾[٢] على قراءة (ابن ذكوان) بهمزتين مع تسهيل الثانية من غير مد.

أما هشام فقد قرأها بهمزة واحدة بإسقاط همزة الاستفهام، وقوله تعالى: ﴿ أَأَذهبتم ﴾[٣]، ﴿ أَأن كان ذا مال وبنين ﴾[٤]، ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾[٥] فإن (هشامًا) له في الهمزتين المفتوحتين وجهان:

الأول: تحقيق الأولى والثانية مع إدخال ألف بينهما.

الثاني: تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين مع الإدخال أيضًا.

أما (ابن ذكوان) فأصله تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما إلا في المواضع التي شارك فيها (هشامًا) في تسهيل الهمزة الثانية وذلك في: ﴿ أَأن كان ﴾ و﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ فإن (ابن عامر) في ﴿ أَأن كان ﴾ قرأ بتسهيل الهمزة الثانية بين بين مع بقاء (هشام) على أصله من إدخال ألف بين همزتين.

وفي ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ قرأ (ابن عامر) بتسهيل الهمزة الثانية بعد إدخال همزة الاستفهام عليها، فاجتمع في الكلمة ثلاث همزات فأصلها (أأأمنتم) بهمزتين مفتوحتين، فهمزة ساكنة ولكن الهمزة الساكنة وهي الثالثة قلبت حرف مد لأنها وقعت بعد همزة مفتوحة.

---

(١) البقرة: ٦.
(٢) فصلت: ٤٤.
(٣) الأحقاف: ٢٠
(٤) ن: ١٤.
(٥) الأعراف: ١٢٣، طه: ٧١، الشعراء: ٤٩.

أما النوع الثاني:

وهو (الهمزة المكسورة بعد المفتوحة)، فإن (هشامًا) له فيها وجهان بشكل عام هما (المد بين الهمزتين، وعدمه) وكل منهما مع تحقيق الهمزتين ويستثنى من هذه القاعدة سبعة مواضع وهي:

قوله تعالى: ﴿ أإن لنا ﴾[١]، ﴿ أإنكم لتأتون ﴾[٢]، ﴿ أإذا ما مت ﴾[٣] و﴿ إنك لمن المصدقين ﴾[٤]، ﴿ أَإِفْكًا ﴾[٥]، ﴿ أَإِنَّكُمْ ﴾[٦] فليس في هذه المواضع إلا المد بين الهمزتين.

وهشام يحقق الهمزتين قولًا واحدًا إلا في قوله تعالى بفصلت: ﴿ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ فله فيها تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها.

أما ابن ذكوان فإنه يحقق الهمزتين من غير مد. وقد انفرد هشام بالمد بين الهمزتين في (أئمة) وله عدم المد أيضًا مع التحقيق في كل منهما، ويوافقه في ذلك الأخير ابن ذكوان.

أما بالنسبة للنوع الثالث:

وهو (الهمزة المضمومة بعد الفتحة): فإن هشامًا يقرؤه بالمد بين الهمزتين وترك المد مع التحقيق وهو ثلاثة مواضع في القرآن الكريم:

---

(١) الأعراف: ١١٣، والشعراء: ٤٠.
(٢) الأعراف: ٨١.
(٣) مريم: ٦٦.
(٤) الصافات: ٥٢.
(٥) الصافات: ٨٦.
(٦) فصلت: ٩.

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾[١]، ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾[٢]، ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ ﴾[٣] هذا ما جاء في كتب القراءات بالنسبة لاجتماع الهمزتين في كلمة[٤].

ومن الملاحظ أن (هشامًا) يدخل ألفًا بين الهمزتين في الأنواع الثلاثة المتقدمة، وليس لتسهيل الهمزة الثانية عند ابن عامر قاعدة أو ضابط، بل إنه يحققها في مواضع ويسهلها في مواضع.

وهنا ظاهرتان صوتيتان:

الأولى: إدخال ألف بين الهمزتين.

الثانية: تسهيل الهمزة الثانية بين بين.

أما بالنسبة للظاهرة الأولى فهي لغة معروفة في العربية رواها سيبويه عن العرب فقال: «ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام (أي همزة الاستفهام) والهمزة ألفًا إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا كما قالوا: (اخشينان) –وهو فعل أمر مسند إلى نون النسوة مؤكد بالنون– ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة».

قال ذو الرمة:

فيا ظبية الوعاء بين جلاجل		وبين النقا آأنت أم أم سالم[٥]

(١) آل عمران: ١٥.
(٢) ص: ٨.
(٣) القمر: ٢٦.
(٤) شرح ابن القاصح (٧٧-٨٦).
(٥) الكتاب (٣/ ٥٥١) تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون.

فإن وزن البيت لا يستقيم إلا بمدة بين الهمزتين في (آأنت)، وقال ابن خالويه: «والحجة لمن حققهما وفصل بمدة بينهما أنه استجفى الجمع بينهما ففصل بالمدة لأنه كره تليين إحداهما فصحح اللفظ بينهما وكل ذلك من فصيح العرب»[١].

وقد وضح أبو البركات بن الأنباري فقال: «زادوا الألف بين الهمزتين استثقالًا لاجتماع الهمزتين، كما زادوها للفصل في تأكيد فعل جماعة النسوة نحو: (اضربنان يا نسوة)»[٢].

وقال ابن منظور: «هي لغة سائدة بين العرب، قال ذو الرمة:

تطاللت فاستشرفته فعرفته		فقلت له: آأنت زيد الأرانب

وأنشد أحمد بن يحيى:

أخرق إذا ما القوم أجروا فكاهة		تذكر آإياه يعنون أم قردا؟»[٣]

والدليل على وجود هذه اللغة في البيتين أن وزنهما لا يستقيم إلا بإدخال ألف بين الهمزتين في (آأنت) في البيت الأول، و(آإياه) في البيت الثاني.

أما الظاهرة الثانية فهي (تسهيل الهمزة الثانية):

والمراد بتسهيل الهمزة تخفيفها بين بين «أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها؛ فإن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة .. ولكن بزنتها»[٤]، «وإنما خففوا الثانية بجعلها بين بين لأنهم أرادوا

(١) الحجة في القراءات السبع، ص٦٦.
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٥١).
(٣) لسان العرب (١/ ١٢٨) دار المعارف.
(٤) سر صناعة الإعراب لابن جنى (١/ ٥٣، ٥٤).

أرادوا التخفيف من جهتين» كما يقول ابن الأنباري[١]؛ أي من جهة أن الهمزة حرف شديد في حد ذاته ومن جهة اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة فيكون النطق بهما أثقل.

وقد زاد أبو البقاء العكبري المسألة إيضاحًا فقال: «إلا أن الجمع بين الهمزتين مستثقل؛ لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر بكلفة فالنطق بها يشبه التهوع، فإذا اجتمعت همزتان كان أثقل على المتكلم، فمن هنا لا يحققها أكثر العرب، ومنهم من يحقق الأولى ويجعل الثانية بين بين؛ أي بين الهمزة والألف، وهذه في الحقيقة همزة ملينة وليست ألفًا»[٢].

«فالهمزة (البين بين) في رأي القدماء صوت ساكن ولكنه ضعيف غير متمكن، وهي برغم هذا تقع موقع المحققة وهي بزنتها ويطلقون عليها أيضًا الهمزة المسهلة والملينة والمقصود دائمًا تخفيف نطقها، ولعلنا إذا عدنا إلى الوصف العلمي للهمزة ندرك أنها ليس لها سوى صورة واحدة فحسب هي ما أطلق عليه المحدثون (الحبسة الحنجرية)، فإذا اختل أداء هذه الحبسة فقدت الهمزة وجودها»[٣]، «وأصبحت صوتًا مزدوجًا من الهمزة وحركتها كما يقرر ذلك علماء اللغة المحدثون»[٤].

وأما الهمزتان الملتقيتان في كلمتين سواء كانت الهمزتان مفتوحتين نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾[٥]، أو مكسورتين نحو قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ ﴾[٦]، أو مضمومتين نحو قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَوْلِيَآءُ ﴾[٧] أو كانت الهمزتان مختلفتين في الحركة وهي على خمسة أضرب في القرآن باستثناء المكسورة

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (١/ ٥١).
(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٢٢).
(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ عبد الصبور شاهين، ص١٠٥.
(٤) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص٧٣.
(٥) النساء: ٥.
(٦) البقرة: ٣١.
(٧) الأحقاف: ٣٢.

بعدها مضمومة فلا توجد في القرآن[١].

فإن ابن عامر ليس من الذين يخففون الأولى أو الثانية فيتعين له تحقيق الهمزتين معًا[٢]. «وتحقيقهما جائز لأنهما منفصلتان في التقدير»[٣] ولأن تحقيق الهمزة هو الأصل في نطقها فليس التخفيف إلا سبيلًا إلى التخلص منها.

هاأنتم:

لقد آثرت أن أفرد هذه الكلمة وهي (هاأنتم) بكلام خاص بعد الكلام عن الهمزة المفردة واجتماع الهمزتين، لأن لهذه الكلمة ارتباطًا بالهمزة المفردة من جهة أن ابن عامر يحقق الهمزة فيها ولا يخففها بتسهيل ولا إبدال، كما أن لها ارتباطًا بالهمزتين في كلمة لاحتمال أن يكون أصل الهاء في (هاأنتم) همزة.

وقد قرأ ابن عامر والكوفيون وقالون والبزي وأبو عمرو (هاأنتم) حيث جاء في القرآن بألف مد بين الهاء والهمزة مع تحقيقها[٤].

وقرأ ورش وقنبل (هاأنتم) من غير ألف بين الهاء والهمزة[٥].

وقد اختلفوا في أصل الهاء فهي في قراءة ابن ذكوان للتنبيه كالهاء في هذا وهذه، ولا يحتمل عنده أن تكون مبدلة من همزة الاستفهام إذ لا يقتضي مذهبه في القراءة ذلك لأنه لا يدخل ألفًا بين الهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة[٦].

(١) مواضع التقاء الهمزتين في كلمتين في إعراب القرآن للزجاج (١/ ٣٦٢-٣٦٦)
(٢) شرح ابن القاصح (٨٦-٩٢).
(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ عبد الصبور شاهين، ص١٠٢.
(٤) شرح ابن القاصح، ٢٢٦.
(٥) المرجع السابق ٢٢٦.
(٦) المرجع السابق ٢٢٦.

أما في قراءة هشام فيحتمل أن تكون الهاء للتنبيه أيضًا، ويحتمل أن تكون الهاء في (هاأنتم) منقلبة عن همزة في قراءة هشام الذي يدخل ألفًا بين الهمزتين وانقلاب الهمزة هاء صحيح عن العرب، فقد رواه عن العرب أبو عمرو بن العلاء وأبو الحسن الأخفش وقالا: الأصل أأنتم، فأبدل من همزة الاستفهام هاء لأنها من مخرجها[١]. وفي لغة لبعض العرب (هأنتم) الهاء موضع الهمزة[٢] وليس إبدال الهمزة هاء في نطق العربية غريبًا، لأن أقرب الأصوات إلى الهمزة صوت الهاء، إذ هو أيضًا حنجري مهموس، والفرق بينهما (أي بين الهمزة والهاء) في كيفية خروج الهواء من الحنجرة، إذ هو يتسرب منها محتكًا بمجراه عند النطق بالهاء، على حين يحتبس الهواء في الهمزة[٣].

وكثيرًا ما يتعاقب الحرفان في الكلمة إذا اتفقا في المخرج أو تقاربا كالهمزة والهاء، فإن كانت الهمزة قد أبدلت هاء في (هاأنتم) على قراءة هشام، فإن الهمزة قد أبدلت من الهاء في (ماء) «لأن أصله (موه) لقولهم في الجمع: أمواه، فقلبت الواو ألفًا في (موه) ثم قلبت الهاء همزة فصار (ماء)»[٤].

وقف هشام على الهمز:

تبين مما سبق أن ابن عامر من الذين يحققون الهمزة؛ أي أنه لا يخففها بتسهيل أو بإبدال أو نحو ذلك من وجوه التخفيف إلا أن هشامًا له موقف من الهمزة المتطرفة عند الوقف عليها، ويوجد موضوع الوقف على الهمز في كتب القراءات تحت عنوان (وقف حمزة وهشام على الهمز)، لأنهما متفقان على تخفيف الهمزة عند الوقف عليها، إلا أن هشامًا يخفف الهمزة التي تقع طرفًا في الكلمة الموقوف عليها ولا يخففها إذا

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٣٩٥).
(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ١٩٣.
(٣) المرجع السابق ٢٥.
(٤) سر صناعة الإعراب (١/ ١٣).

كانت متوسطة في الكلمة أو وقعت أولًا.

وهذا الموضوع كما يقول (الصفاقسي): «من أصعب الأبواب وقلَّ من العلماء من يتقنه ويقوم فيه بالواجب»[١].

ولعل صعوبة هذا الموضوع ترجع إلى الخلط بين موقف حمزة وموقف هشام من الهمزة الموقوف عليها، ولكن بتدقيق النظر يتبين أن حمزة يخفف الهمزة في الكلمة الموقوف عليها مطلقًا؛ أي سواء كانت الهمزة في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها، أما هشام فإنه لا يخفف إلا الهمزة المتطرفة كما سيأتي.

«ومما صح في القراءة وشاع في العربية الوقف بتخفيف الهمز وإن كان مما يحقق في الوصل؛ لأن الوقف محل استراحة القارئ والمتكلم، لذلك حذفت فيه الحركات والتنوين، وأبدل فيه تنوين المنصوبات ألفًا كما جاز فيه الروم والإشمام والنقل والتضعيف، فإن كان هذا كله جائزًا عند الوقف كان تخفيف الهمز في هذه الحالة أحق وأحرى، وهذا مذهب مشهور ولغة معروفة بحذف الهمز في السكت؛ يعني في الوقف»[٢].

ولم يرو عن هشام تخفيف الهمزة المتطرفة الموقوف عليها فقط، بل روي عنه أيضًا تحقيقها كابن ذكوان والوجهان عنه صحيحان[٣].

وللهمزة المتطرفة حالات مختلفة، أبينها على النحو التالي:

١ - أن تكون الهمزة الموقوف عليها بسكون مسبوقة بفتحة أو كسرة أو ضمة، وفي هذه الحالة يكون تخفيفها بإبدالها حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فإن كان ما

(١) غيث النفع في القراءات السبع، ص١٦ بهامش شرح ابن القاصح.
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٢).
(٣) النشر، ص٤٦٠.

قبلها مفتوحًا قُلبت ألفًا، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الهمزة ساكنة سكونًا لازمًا وساكنة سكونًا عارضًا، كما في نحو: (اقرأ) فإذا وقف عليها قال (اقرا) بإبدال الهمزة ألفًا.

وإن كان ما قبلها مكسورًا قُلبت ياء كما في نحو: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾[1] فإذا وقف على (نبئ) قال: (نبي) بإبدال الهمزة ياء.

وإن كان ما قبلها مضمومًا قلبت واوًا كما في نحو (اللؤلؤ) فإذا وقف عليها قال: (اللؤلو) بإبدال الهمزة الأخيرة واوًا[2].

وهذا هو القياس في العربية بأن كل همزة ساكنة سُبقت بحركة جاز إبدالها حرف مد من جنس هذه الحركة.

قال سيبويه: «وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة وأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفًا، وذلك كقولك في (بأس – رأس – وقرأت): (باس – راس – وقرات).

وإن كان ما قبلها مضمومًا وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوًا، وذلك كقولك في (البؤس – المؤمن): (البوس – والمومن).

وإن كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياء، وذلك كقولك في (الذئب): (الذيب)»[3].

٢- أن تكون الهمزة المتطرفة مسبوقة بألف نحو: (جاء – عن أشياء – السفهاء – منه الماء – من السماء). وفي هذه الحالة يكون تخفيف الهمزة عند الوقف بإبدالها ألفًا

(١) الحجر: ٤٩.
(٢) التيسير لأبي عمرو الداني، ص٣٧، ٣٨.
(٣) الكتاب (٣/ ٥٤٣، ٥٤٤) طبعة الأستاذ عبد السلام هارون، والهمع للسيوطي (٢/ ٢٢١).

... والوجه في ذلك أن الهمز لما سكن للوقف لم تعد الألف حاجزًا فقُلبت الهمزة ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها، فيجتمع ألفان: (الألف المبدلة من الهمزة، والألف التي قبلها) فإما أن تحذف إحداهما للساكنين أو يبقى الألفان كما هما، لأن الوقف يحتمل اجتماع الساكنين، فإن حذفت إحداهما: فإما أن يُقدَّر حذف الأولى أو يقدر حذف الثانية، فإن قُدِّر حذف الأولى فلا يجوز إلا القصر أو لا يجوز مدها عند الوقف، لأن الألف الباقية حينئذ تكون مبدلة من همزة ساكنة، وما كان كذلك فلا مد فيه كألف (يأمر – يأتي)، وإن قُدِّر أن المحذوفة هي الألف الثانية جاز المد والقصر من أجل تغير السبب فهو حرف مد قبل همز مغير، وإن بقيت الألف الثانية جاز المد مدًّا طويلًا[١].

٣- أن تكون الهمزة المتطرفة مسبوقة بواو زائدة مضموم ما قبلها نحو: (قروء)[٢]، أو ياء زائدة مكسور ما قبلها نحو: (النسيء)[٣]، وتخفيف الهمزة في هذه الحالة بإبدال الهمزة من جنس ذلك الحرف الزائد ويدغم الحرف فيه[٤]، فيقال في (قروء) عند الوقف (قرو) بضم القاف والراء وتشديد الواو مع السكون، ويقال في (النسيء): (النسي) بتشديد الياء مع السكون.

وهذا اللون من التخفيف لغة واردة عن العرب نقلها سيبويه في كتابه قال: «وإذا كانت الهمزة المتحركة بعد واو أو ياء زائدة ساكنة، وكانت مدة في الاسم والحركة التي قبلها فيها بمنزلة الألف أبدل مكانها واو إن كانت بعد واو، وأبدل مكانها ياء إن كانت بعد ياء، ولا تحذف (أي: الهمزة) فتحرك هذه الواو والياء فتصير بمنزلة ما هو من نفس الحرف، وذلك كقولك في (خطيئة): (خطية) وفي (النسيء):

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٥٨).
(٢) البقرة: ٢٢٨.
(٣) البقرة: ٣٧.
(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٥).

(النسى) وفي (مقروء ومقروءة): (هذا مقرو وهذه مقروة)»[١].

٤- أن تكون الهمزة المتطرفة مسبوقة بحرف ساكن أصلي سواء أكان هذا الحرف صحيحًا نحو: (دفء) و(جزء) و(الخبء)[٢]، أو كان حرف مد غير الألف؛ أي الواو أو الياء نحو: (لتنوء)[٣]، (وجيء)، أو كان حرف لين نحو (شيء)، (السوء)، ويكون تخفيف الهمز في هذه الحالة أن تنقل حركة الهمزة إلى ذلك الساكن ويحرك بها ثم تحذف هي بأي حركة تحركت الهمزة[٤].

وتخفيف الهمزة بالنقل لغة شائعة ومعروفة ومشهورة عند العرب. قال سيبويه: «واعلم أن ناسًا من العرب كثيرًا ما يلقون على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة، سمعنا ذلك من تميم وأسد، يريدون بذلك بيان الهمزة، وهو أبين لها إذا وليت صوتًا، والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت لو رفعت بصوت حرَّكْته، فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حرَّكوا ما قبلها ليكون أبين لها»[٥].

وقال سيبويه في موضع آخر: «واعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك كقولك في (من أبوك): (منَ بوك)، وفي (من أمك): (منُ مك) وفي (كم أبلك): (كمِ بلك)[٦]. ففي قوله: (أبوك) حذفت الهمزة ونقلت حركتها وهي الفتحة إلى الساكن قبلها وهو نون (من) كما حذفت الهمزة ونقلت حركتها وهي الضمة إلى الساكن قبلها في (من مك)، كما حذفت الهمزة ونقلت حركتها وهي الكسرة إلى الساكن قبلها

(١) الكتاب (٣/ ٥٤٧).
(٢) النمل: ٢٥.
(٣) القصص: ٧٦.
(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٦).
(٥) الكتاب (٤/١٧٧٠).
(٦) الكتاب (٣/ ٥٤٥).

في (كم بلك).

وقد قال الذين يخففون: (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخب في السموات)[١] بفتح الباء وحذف والهمزة في (الخبء)، وإذا وقف القارئ عليها سكن الباء للوقف».

ثم قال سيبويه: «حدثنا بذلك عيسى، وإنما حذفت الهمزة هاهنا لأنك لم ترد أن تتم وأردت إخفاء الصوت، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف هذه قصته كما لم يكن ليلتقي ساكنان»[٢].

فإذا وقف القارئ على كلمة (الخبء) على رواية هشام فإنه يقف على النحو التالي:

ينقل حركة الهمزة وهي الفتحة إلى الباء فتصبح الباء مفتوحة، ثم يحذف الهمزة ثم يسكن الباء للوقف، فيقول: (الخب) بسكون الباء.

وإذا كان تخفيف الهمزة بالنقل جائزًا في الهمزة التي تقع وسطًا من الكلمة فإن جواز ذلك في الهمزة المتطرفة أولى لثقلها.

وإذا سكن ما قبل الهمزة الساكنة كان النطق بها أصعب[٣]؛ لأن الهمزة حينما يقف عليها القارئ فإنما تسكن والحرف الذي قبلها ساكن، فمن هنا جاءت الصعوبة عند الوقف.

ولذلك جوزوا نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها مطلقًا سواء كان الذي قبل

(١) النمل: ٢٥.
(٢) الكتاب (٣/ ٥٤٥)، والهمع (٢/ ٢٢١).
(٣) شرح الأشموني (٤/ ٢١٢).

الساكن مطابقًا لحركة الهمزة أم مخالفًا لها، بخلاف غير المهموز فلا يجوز فيه النقل عند الوقف، وذلك لثقل الهمزة عند الوقف، والوقف بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها لغة كثير من العرب منهم تميم وأسد.

«وإذا نقلت حركة الهمزة حذفها الحجازيون واقفين على حامل حركتها؛ أي الساكن قبلها الذي حُرِّك بحركتها»[١]، فيقفون عليه بالسكون فيقولون: «هذا الخب بالإسكان والروم والإشمام»[٢].

والمقصود بالروم: الإتيان ببعض الحركة بصوت خفي يسمعه الداني من القارئ، والمقصود بالإشمام: أن يطبق القارئ شفتيه بعد الإسكان إشارة إلى الضمة، وهو يُرى بالعين ولا يُسمع وذلك عند الوقف على الحرف المُحرك بالضمة[٣].

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شرح ابن القاصح، ص١٥٦.

الإظهار والإدغام

ومما عُرف في علم القراءات من ظواهر صوتية عند نطق الحروف ظاهرتا: الإظهار والإدغام، وهما مصطلحان متقابلان خاصان بنطق الحروف عندما يلتقي بعضها ببعض سواء كان ذلك في كلمة واحدة أو في كلمتين.

ولكن الأصل في نطق الحرفين المتلقيين هو الإظهار بأن ينطق كل حرف بخصائصه وصفاته نطقًا مستقلًا عن الحرف الذي يليه، ولذلك فلا يُسأل عن سبب الإظهار، ولكن حينما يدغم حرفان أحدهما في الآخر فلا بد أن يكون ذلك لسبب صوتي كما سيأتي.

ومن هنا فسوف أقصر الحديث على ظاهرة الإدغام في قراءة ابن عامر.

مفهوم الإدغام وأسبابه:

والإدغام في اللغة: الإدخال: من إدخال اللجام في الدواب، وأدغم الفرس اللجام أدخله في فيه.

ومنه إدغام الحرف، يقال: أدغمت الحرف وادّغمته، على افتعلته[1].

والإدغام في اصطلاح القراء هو: «اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا»[2]؛ أي ينطق بالحرفين الملتقيين في كلمة أو كلمتين حرفًا واحدًا مشددًا من جنس الحرف الثاني.

---

(١) لسان العرب (٢/ ١٣٩١)، طبعة دار المعارف.

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٧٣).

ويوضح المبرد كيفية إدغام الحرفين بقوله: «وتأويل قولنا: (مدغم) أنه لا حركة تفصل بينهما فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة، لأن المخرج واحد، ولا فصل»[١].

وقال السيوطي موضحًا ذلك هو: «رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ووضعك إياه بهما وضعًا واحدًا»[٢]. والادّغام بتشديد الدال بوزن (الافتعال) من ألفاظ البصريين، والإدْغام بتخفيف الدال بوزن (إفعال) من ألفاظ الكوفيين[٣].

ويقسم علماء اللغة المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين:

١- رجعي: وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني.

٢- تقدمي: وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول.

«ولم يعرض القراء في كتبهم إلا للنوع الأول؛ أي التأثر الرجعي، وهو الذي فيه يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثرًا كاملًا يترتب عليه أن يفنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين واحدًا كالثاني»[٤].

وأسبابه:

١- التماثل: وهو اتفاق الحرفين مخرجًا وصفة.

٢- التجانس: وهو أن يختلفا صفة ويتفقا مخرجًا.

---

(١) المقتضب (١/ ٣٣٣).

(٢) الهمع (٢/ ٢٢٥).

(٣) الأشموني (٤/ ٣٤٥).

(٤) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، ص٥١، ٥٢، والأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٣٤.

٣- التقارب: وهو أن يتقاربا مخرجًا أو صفة أو مخرجًا وصفة[١].

ويرد السيوطي هذه الأسباب إلى سبب واحد وهو المماثلة فيقول: «وهذا التقسيم إنما هو بالنظر إلى الأصل، وإلا فلا إدغام إلا إدغام مثل في مثله، ألا ترى أن المتقارب يقلب من جنس الحرف الآخر فيئول إلى إدغام مثل في مثل»[٢].

الإظهار والإدغام بين اللهجات:

إن القرآن الكريم خير ما يمثل لهجات العرب التي كانت شائعة قبل الإسلام وبعده، «والإدغام والإظهار لغتان ورادتان عن العرب، فقد يظهرون في كلامهم وقد يدغمون طلبًا للتخفيف في نطق الحروف. قال أبو عمرو بن العلاء: الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره»[٣].

ومن الممكن أن يعزى الإدغام بصفة عامة إلى البيئة العراقية، والإظهار بصفة عامة إلى البيئة الحجازية، «وأن القبائل التي عُرفت بالإدغام هي: تميم – طيئ – أسد – بكر بن وائل – تغلب – عبد القديس. وأن القبائل التي آثرت الإظهار هي: قريش – ثقيف – كنانة – الأنصار – هذيل»[٤].

وإذا استعرضنا آراء القراء في إدغام الأمثلة القرآنية أو إظهارها وجدناهم طائفتين:

١- منهم من يؤثرون الإدغام وهم أبو عمرو، والكسائي، وحمزة، وابن عامر، وخلف، وإن اختلفت النسبة بينهم.

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٢).
(٢) الهمع (٢/ ٢٢٥).
(٣) قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، ص٤.
(٤) في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، ص٥٤.

٢- أما الذين يؤثرون الإظهار فهم ابن كثير ونافع وأبو جعفر وعاصم ويعقوب بنسب مختلفة أيضًا[١].

نوعا الإدغام:

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما أظهره القراء من الحروف في القرآن أو أدغموه هو مما يجوز إدغامه وإظهاره، فليس الإدغام عند القراء من قبيل الإدغام الواجب بل هو من قبيل الإدغام الجائز، إذ لا خلاف بين القراء في إدغام ما يجب إدغامه من الحروف، ولكن الخلاف بينهم واقع على ما يجوز فيه الإظهار والإدغام، والإدغام بهذا المفهوم عندهم نوعان:

١- الإدغام الكبير وهو: ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا[٢]؛ أي يكون الحرفان الملتقيان في كلمة أو كلمتين متحركين، لأن الثاني لا يكون إلا متحركًا، والمقصود بتحرك الحرف أن الصوت الساكن أو الصامت تعقبه حركة قصيرة، وهذا ما يوضحه الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في تعريفه للإدغام الكبير فيقول: «هو الذي فيه يفصل بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (أي: الحركة)»[٣].

٢- الإدغام الصغير وهو: الذي يكون فيه الأول من الحرفين ساكنًا[٤]؛ أي يكون الحرفان الملتقيان بمفهوم علم اللغة الحديث ساكنين إلا أن الصوت الثاني منهما تعقبه حركة؛ أي متحرك.

قال الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس: «وفيه يتجاور الصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين، وهو الذي شاع في معظم اللغات، لأن شرط تأثر صوت

(١) في اللهجات العربية، ص٥٣.
(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٣).
(٣) في اللهجات العربية، ص٥٣.
(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٣).

بآخر هو التقاؤهما التقاء مباشرًا»[١].

وفيما يلي أبين هذين النوعين في قراءة ابن عامر:

(١) الإدغام الكبير:

الأصل عند ابن عامر أن يظهر الحرفين المتحركين المتلقيين في كلمة أو كلمتين، ولكن خرج عن هذا الأصل فأدغم في مواضع قليلة محددة في القرآن، فقد أدغم النون في ثلاثة مواضع:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف ﴾[٢] فقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ ﴾ فعل مضارع واجب الرفع إذا لم يسبق بجازم وأصله (تأمننا) بنونين، الأولى مرفوعة لأنها نون الفعل، والثانية مفتوحة لأنها نون الضمير، ولكن القراء اتفقوا على إدغام النونين تخفيفًا فقرءوا بنون واحدة مشددة، وقد وافقهم ابن عامر على الإدغام ولكن مع الإشمام[٣]؛ وهو الإشارة بالشفتين إلى الضمة دون صوت.

قال الفراء: «تشير إلى الرفعة، وإن تركت فصواب»[٤].

وقال الصفاقسي موضحًا معنى الإشمام وسببه في هذه اللفظة: «فيشر (القارئ) إلى ضم النون المدغمة بعد الإدغام للفرق بين إدغام ما كان متحركًا وما كان ساكنًا، لأن (لا تأمنا) مركبة من فعل مضارع مرفوع وضمير المفعول به، وأجمعت المصاحف على كتبه على خلاف الأصل بنون واحدة كما يكتب ما آخره نون ساكنة واتصل به الضمير نحو (كنا وعنا ومنا) وهذا الإشمام كالإشمام في الوقف على المرفوع، وهو أن

(١) في اللهجات العربية ص٥٢، والأصوات اللغوية ص١٣٤.
(٢) يوسف: ١١.
(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٣).
(٤) معاني القرآن (٢/ ٣٨).

تضم شفتين من غير إسماع صوت كهيئتها عند التقبيل، لأن المسكن للإدغام كالمسكن للوقف بجامع أن سكون كل منهما عارض»[١].

ولعل إجماع القراء على إدغام النونين هنا وتركهم للأصل وهو الإظهار لبيان رفع الفعل دليل على حرصهم على تحقق الانسجام الصوتي بين الحروف عند النطق في تلاوة القرآن، إذ لا مبرر لهذا الإدغام -كما يبدو- إلا مراعاة هذا الانسجام بالابتعاد عن نطق النونين المتواليتين في كلمة واحدة وما ينتج عن ذلك من ثقل واضح على اللسان.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾[٢] فقد قرأ ابن كثير: (مكنني) بنونين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وقرأ الباقون (مكني) بإدغام النون في النون وهي قراءة ابن عامر كذلك[٣]، والأصل (مكنني) بنونين خفيفتين وقراءتهما على الإدغام (مكني) بنون واحدة مشددة مكسورة بإدغام النون التي هي لام الفعل في نون الوقاية[٤].

الثالث: في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي ﴾[٥] فقد انفرد هشام عن ابن عامر بإدغام نون الرفع في نون الوقاية فقرأهما بنون واحدة مشددة مكسورة وذلك في (أتعداني)[٦].

ويجدر أن أشير هنا إلى أحد وجهي هشام وهو إدغام النونين كقراءة الجمهور في

---

(١) غيث النفع في القراءات السبع، ص١٧٢.
(٢) الكهف: ٩٥.
(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٣).
(٤) المستنير في تخريج القراءات المتواترة للدكتور محسن (١/ ٣٩١).
(٥) الأحقاف: ١٧.
(٦) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٣)، والمستنير (٣/ ١١٨).

قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴾[١]. وليس الإدغام هنا عند الجمهور مقابلًا للإظهار، فلم يقرأ أحد بإظهار النونين، فقراءة ابن عامر تخفيف النون بحذف إحدى النونين. وسوف أبين هذا في موضعه إن شاء الله. ولكنَّ هشامًا له وجه الإدغام. قال القرطبي مبينًا سبب الإدغام: «فمن شدد قال: الأصل فيه نونان: الأولى علامة الرفع، والثانية فاصل بين الفعل والياء، فلما اجتمع مثلان في فعل وذلك ثقيل أدغم النون في الآخرة، فوقع التشديد، ولا بد من مد الواو لئلا يلتقي الساكنان»[٢].

وليس إدغام النونين المتحركتين على نحو ما تقدم مطردًا عند ابن عامر، فقد أظهرهما في قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ ﴾[٣]، فقد قرأ (تأمروننني) بنونين: الأولى مفتوحة وهي علامة الرفع، والثانية مكسورة وهي نون الوقاية[٤].

(٢) الإدغام الصغير:

سبق أن ذكرت أن الإدغام الصغير هو الذي يكون الحرف الأول فيه ساكنًا وهو الشائع في القراءات القرآنية، واختلاف القراء يدور حول إدغام حروف معينة فيما بعدها في مواضع محددة، فهم اختلفوا في إدغام تاء التأنيث الساكنة الملحقة بالفعل الماضي وفي دال (قد) وذال (إذ) ولام (هل، وبل)، كما اختلفوا في إدغام حروف في حروف تقاربها في المخرج، كإدغام الثاء في التاء والثاء في الذال.

وفيما يلي أبين المواضع التي أدغم فيها ابن عامر هذه الحروف بعضها في بعض:

---

(١) الأنعام: ٨٠.

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٢٤٦٥).

(٣) الزمر: ٦٤.

(٤) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج – القسم الثالث (٨٥١).

(١) تاء التأنيث:

وقد اختلف القراء في تاء التأنيث المتصلة بالفعل الماضي عند ستة أحرف هي: الجيم والسين والصاد والزاي والثاء والظاء. نحو قوله تعالى: ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾[٦] إلى غير ذلك مما يشبهه في القرآن[٧].

أما ابن عامر فإن الحروف المذكورة على ثلاثة مراتب عنده، منها ما أظهر عنده قولًا واحدًا وهما (السين والزاي)، ومنها ما أدغم عندهُ قولًا واحدًا وهما (الظاء والثاء) ومنها ما عنده فيه تفصيل وهما (الصاد والجيم). فأما الصاد فإنه أدغم فيها بلا خلاف في قوله تعالى: ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾، واختلف عنه راوياه في قوله تعالى: ﴿ هُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ ﴾[٨]، فأظهر هشام وأدغم ابن ذكوان، وأما الجيم فإنه أظهر عندها بلا خلاف في قوله تعالى: ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿ وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾[٩] فإنه أظهرها من رواية هشام وعنه فيها الإظهار والإدغام من رواية ابن ذكوان[١٠].

---

(١) النساء: ٥٦.
(٢) الحاقة: ٤.
(٣) محمد: ٢٠.
(٤) النساء: ٩٠.
(٥) الإسراء: ٩٧.
(٦) الأنبياء: ١١.
(٧) التيسير لأبي عمرو الداني، ص٤٣.
(٨) الحج: ٤٠.
(٩) الحج: ٣٦.
(١٠) شرح ابن القاصح، ص١٢٠، ١٢١.

يستنتج من هذا أن الحروف التي أدغم ابن عامر فيها التاء هي: «الثاء والجيم والصاد والظاء».

أولًا: إدغام التاء في الثاء:

والتاء «صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس، فيه يقف الهواء وقوفًا تامًّا حال النطق عند نقطة التقاء طرفي اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم ينفصل اللسان فجأة تاركًا نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجاري»[١]. أما الثاء فهو صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس[٢]، وقد تم في إدغام «التاء في الثاء» عمليتان: الأولى أن يسمح الهواء مع التاء بالمرور لتصبح رخوة كالثاء، والثانية أن مخرج الصوت الأول قد انتقل إلى الأمام مُتجهًا نحو مخرج الأصوات المسماة باللثوية، وبذلك ماثل الصوت الأول الصوت الثاني كل المماثلة فتم الإدغام[٣].

ثانيًا: إدغام التاء في الجيم:

والجيم «صوت انفجاري صلب مجهور»[٤]، والتاء كما تقدم صوت مهموس فحينما يدغم التاء في الجيم فلا بد أن يكتسب من الجيم صفة الجهر، وفي هذا الموضع يجهر أولًا بالتاء، فتصير دالًا (لأن الدال والتاء من مخرج واحد إلا أن صوت الدال هو المثال المجهور لصوت التاء)، ثم ينتقل مخرج الدال من أصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك، وبهذا يلتقي بالجيم، لأنها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدال في الصفة وبهذا يتم الإدغام[٥] فتنطق التاء والجيم جيمًا مشددة.

---

(١) علم الأصوات، د/ كمال بشر، ص١٠١.
(٢) المرجع السابق، ص١١٨.
(٣) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٣٧.
(٤) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب، ص٢٠٩.
(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٣٧.

ثالثًا: إدغام التاء في الصاد:

والصاد «صوت لثوي احتكاكي مهموس مفخم، فهو كالسين إلا أنه مفخم أو مطبق»[١]، ويتم إدغام التاء في الصاد بأن «يسمح للهواء بالمرور مع التاء فتصبح رخوة فتشبه السين كل المشابهة، وليس هناك فرق بين السين والصاد، إلا أن الصاد مطبقة، وهكذا تم الإدغام بين التاء والصاد»[٢] فتنطق التاء والصاد صادًا مشددة.

رابعًا: إدغام التاء في الظاء:

والظاء صوت مما بين الأسنان احتكاكي مفخم مجهور[٣]. وهنا يجهر أولًا بالتاء فتصير دالًا، لأن الصوت الثاني (أي: الظاء) صوت مجهور، ثم يسمح للهواء معها بالمرور فتصير رخوة، ثم ينتقل مخرجها إلى الأصوات المسماة باللثوية، وبهذا تصير (ذالًا) ولا فرق بين الذال والظاء، إلا أن الصوت الثاني من أصوات الإطباق، فالإدغام هنا له ما يبرره من الناحية الصوتية[٤].

(٢) دال «قد»:

ومن الحروف التي اختلف القراء حول إدغامها فيما بعدها دال (قد) «فقد اختلفوا في الدال من (قد) عند ثمانية أحرف من الجيم والسين والشين والصاد والزاي والذال والطاء والضاد. أمثلة ذلك قوله تعالى عز وجل:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ ﴾[٥]، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ﴾[٦]-

(١) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١٢٠.
(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٣٨.
(٣) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١١٩.
(٤) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٣٧، ١٣٨.
(٥) التوبة: ١٢٨.
(٦) آل عمران: ١٨١.

﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾[١] - ﴿ وقد صرفنا ﴾[٢] - ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾[٣] - ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ﴾[٤] - ﴿ فقد ضارا ﴾[٥] - ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾»[٦].

وقد أدغم ابن ذكوان في الزاي والذال والضاد والظاء في الأربعة لا غير، وأظهر هشام ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾[٧] وأدغم في السبعة البواقي[٨].

إذن ورد عن ابن عامر إدغام الدال في كل هذه الحروف الثمانية، ولهذا الإدغام مبررات صوتية، أبينها على النحو التالي:

أولًا: إدغام الدال في الذال:

«والدال هو النظير المجهور للتاء وليس بينهما من فروق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق، فالدال صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور»[٩]، والذال صوت لثوي، ولكي يتم إدغام الدال في الذال «لا بد من انتقال مخرج الدال إلى الأصوات المسماة باللثوية، ثم السماح للهواء بالمرور في حالة النطق بها، لتصبح رخوة كالذال وهكذا يتم الإدغام»[١٠]. فتنطق الدال والذال في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ ذالًا مشددة.

---

(١) يوسف: ٣٠.
(٢) الإسراء: ٨٩.
(٣) الأعراف: ١٧٩.
(٤) الملك: ٥.
(٥) النساء: ١٦٧.
(٦) البقرة: ٢٣١.
(٧) ص: ٢٤.
(٨) التيسير لأبي عمرو الداني، ص٤٢.
(٩) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١٠٢.
(١٠) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٢.

ثانيًا: إدغام الدال في الظاء:

«ويتكون صوت الظاء بالطريقة التي يتكون بها صوت الذال، إلا أن الظاء صوت مفخم»[١] «وإذا جاز إدغام الدال في الذال جاز إدغامه في الظاء، لأنه لا فرق بين الذال والظاء إلا في الإطباق»[٢].

ثالثًا: إدغام الدال في الضاد:

«والضاد صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم»[٣] فلا فرق بين الدال والضاد إلا في الإطباق –أي: التفخيم– ولإدغام الدال في الضاد لا يحتاج القارئ إلا إلى تفخيم الدال[٤].

رابعًا: إدغام الدال في الجيم:

سبق الكلام عن مخرج صوت الجيم عند الكلام عن إدغام التاء فيه، كما سبق أن التاء حينما تدغم في الجيم لا بد أن تتحول أولًا إلى دال ثم ينتقل مخرج الدال إلى الجيم، فإذا كان إدغام التاء في الجيم يمر بمرحلتين وهما: تحويل التاء إلى دال ثم انتقال مخرج الدال إلى مخرج الجيم، فإن إدغام الدال في الجيم يمر بمرحلة واحدة وهي انتقال مخرج الدال إلى مخرج الجيم. ولكي يتم إدغام الدال في الجيم «ينتقل مخرج الدال إلى وسط الحنك، مع السماع قليلًا بمرور الهواء، وبذلك تقل شدتها فتشبه الجيم»[٥].

(١) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١١٩.
(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٢.
(٣) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١٠٤.
(٤) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٢.
(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٢.

خامسًا: إدغام الدال في الشين:

«ومخرج الشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى (الحنك الصلب) والهواء الخارج من الرئتين معه عند وصوله إلى مخرجه يجد عضوي النطق يقتربان حتى تضيق المسافة بينهما ما يسمح له بالمرور. لكن مع احتكاكه بهما ليحدث حفيفًا مسموعًا، بل لينشر الهواء في الفم، ويلاحظ أيضًا أن الوترين مع الشين يتسع ما بينهما ليسمحا للهواء بالمرور دون أن يحتك بهما فلا يتذبذبان ومؤخر اللسان ومقدمه لا يعلوان إلى سقف الحنك»[١]، وطريقة إدغام الدال في الشين كطريقة إدغام الدال في الجيم إلا أن الدال عند الشين يجب همسها، لأن الشين صوت مهموس[٢].

سادسًا: إدغام الدال في السين:

«والسين هي النظير المنفتح المستقل المرقق للصاد، بمعنى أن تلك الأوصاف لو زالت من السين لصارت صادًا. ويقال في مخرجها وهمسها ورخاوتها وصفيرها وأصماتها ما يقال في الصاد، ومعنى ذلك أنه لا فرق بينهما سوى تسفل اللسان معها وعدم تقعره، فتتسع مجرة الرنين فلا يمتلئ الفم بصدى الصوت وفيما عدا ذلك يتفق الصوتان من حيث المخرج ومن حيث ثقل حركة اللسان ومن حيث الاحتكاك المسموع بوضوح (الصفير)»[٣].

«ولكي يتم إدغام الدال في السين لا بد من همس الدال والسماح للهواء معها بالمرور لتصبح رخوة، وبذلك تماثل السين في الهمس والرخاوة»[٤].

(١) أصوات اللغة العربية للدكتور عيد محمد الطيب، ص٨١.
(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٢.
(٣) أصوات اللغة العربية للدكتور عيد محمد الطيب، ص٨٥.
(٤) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٣.

سابعًا: إدغام الدال في الزاي:

والزاي هو النظير المجهور للسين فيقال فيه ما قيل في السين سوى تذبذب الوترين مع الزاي وعدم تذبذبهما مع السين[١]. ولجواز إدغام الدال في الزاي «يجب أن يسمح للهواء بالمرور مع الدال لتصبح رخوة وهكذا تشبه الزاي في المخرج والرخاوة والجهر»[٢].

ثامنًا: إدغام الدال في الصاد:

والصاد «صوت يخرج من طرف اللسان مع أصوات الثنايا العليا وهو صوت مهموس رخو (احتكاكي) ومطبق مستفل مفخم مصمت والاحتكاك فيه واضح فهو صفيري»[٣]. «والصاد هو النظير المفخم للسين»[٤]. وإدغام الدال في الصاد كإدغامها في السين، لأنه لا فرق بين السين والصاد إلا في الإطباق[٥].

(٣) ذال (إذ):

ومن الحروف التي اختلف القراء حول إدغامها فيما بعدها ذال (إذ) فاختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف هي: (التاء والجيم والدال والزاي والسين والصاد). فالتاء مثل: ﴿ إذ تمشى ﴾[٦]، والجيم مثل: ﴿ إِذْ جَآءَ ﴾[٧]، والدال مثل: ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾[٨].

---

(١) أصوات اللغة العربية للدكتور عيد محمد الطيب، ص٨٥.
(٢) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٣.
(٣) أصوات اللغة العربية للدكتور عيد محمد الطيب، ص٨٤.
(٤) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١٢٠.
(٥) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، ص١٤٣.
(٦) طه: ٤٠.
(٧) الصافات: ٨٤.
(٨) الكهف: ٣٩.

والسين مثل: ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾[١]، والصاد مثل: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ ﴾[٢]، والزاي مثل: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ ﴾[٣].

فأدغمها في الحروف الستة (هشام) عن (ابن عامر) ووافقه (ابن ذكوان) في الدال[٤]. وفيما يلي أبين المبررات الصوتية لإدغام الذال في هذه الأصوات:

أولًا: إدغام الذال في التاء: والذال هو النظير المرقق للظاء، ومخرج الذال من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا أو مع ما بين طرف الثنايا العليا والسفلى وهو صوت مجهور رخو (احتكاكي)[٥].

وتقدم أن التاء صوت أسناني لثوي انجفاري مهموس، ولكي تتم عملية إدغام الذال في التاء ينتقل مخرج الذال إلى الوراء قليلًا ثم ينطق بها مهموسة شديدة، وهكذا يتم الإدغام[٦] بعد أن يكتسب صوت الذال من التاء صفتي الهمس والشدة فتنطق الذال والتاء تاء مشددة.

ثانيًا: إدغام الذال في الجيم: تقدم الكلام عن مخرجي الذال والجيم، وهنا «ينتقل مخرج الذال إلى وسط الحنك فتشبه الجيم لأن أقرب أصوات وسط الحنك إلى الذال هو الجيم، فكلاهما مجهور وإن كانت الجيم أكثر شدة»[٧].

ثالثًا: إدغام الذال في الدال: ولكي يتم إدغام الذال في الدال لا بد أن «ينتقل

---

(١) النور: ١٢.
(٢) الأحقاف: ٢٩.
(٣) الأنفال: ٤٨.
(٤) التيسير للداني ص٤٢، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢، ٣).
(٥) أصوات اللغة العربية، د/ عيد محمد الطيب، ص٨٦.
(٦) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص١٤٣.
(٧) المرجع السابق، ص١٤٤.

مخرج الذال إلى الوراء قليلًا ثم ينطق بها مجهورة شديدة لأن الذال مجهورة»[١] كالدال، فإذا أدغمت فيها الذال اكتسبت منها الشدة.

رابعًا: إدغام الذال في السين: «وهنا تهمس الذال أولًا ثم ينتقل مخرجها قليلًا إلى الوراء لتشبه السين همسًا، ورخاوة»[٢].

خامسًا: إدغام الذال في الزاي: «وإدغام الذال في الزاي كإدغام الذال في السين إلا أن الذال تحتفظ بجهرها لأن الزاي هو النظير المجهور للسين»[٣].

سادسًا: إدغام الذال في الصاد: «وإدغام الذال في الصاد كإدغام الذال في السين أيضًا لأنه لا فرق بين السين والصاد إلا في الإطباق»[٤].

(٤) لام (هل)، (بل):

ومما اختلف القراء في إدغامه فيما بعده اللام من (هل)، (بل). فقد اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف وهي: (التاء، والثاء، والزاي، والسين والضاد، والطاء، والظاء، والنون)، فالتاء مثل: ﴿ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾[٥]، ﴿ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴾[٦]، والثاء مثل: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ﴾[٧]، والزاي مثل: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٨]، والسين مثل: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ ﴾[٩]، والضاد مثل:

(١) المرجع السابق، ص١٤٣، ١٤٤.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٣، ١٤٤.
(٣) المرجع السابق، ص١٤٤.
(٤) المرجع السابق، ص١٤٤.
(٥) الفتح: ١٥.
(٦) المائدة: ٥٩.
(٧) المطففين: ٣٦.
(٨) الرعد: ٣٣.
(٩) يوسف: ٨٣.

﴿ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ﴾[١]، والطاء مثل: ﴿ بَلْ طَبَعَ ﴾[٢]، والظاء مثل: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ ﴾[٣]، والنون مثل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾[٤] ومثل: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ﴾[٥]. فقد أظهر ابن ذكوان لام (هل) و(بل) عند جميع حروفها الثمانية، وأما هشام فإنه أظهر عند النون والضاد وعند التاء بالرعد خاصة وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾[٦] وأدغم فيما سوى ذلك[٧].

أي أن هشامًا أدغم اللام في الثاء والزاي والسين والطاء والظاء والتاء عدا موضع الرعد السابق الذكر، وإدغام اللام في هذه الحروف ليس غريبًا، لأن اللام كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «أكثر الأصوات الساكنة شيوعًا في اللغة العربية، ولا شك أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضًا للتطور اللغوي من غيرها، هذا بالإضافة إلى أن جميع الأصوات التي تدغم فيها اللام تندرج تحت المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج ماعدا الشين، ولهذا يعد إدغام لام التعريف في الشين أمرًا غريبًا، وقد يبرره أن الشين أقرب أصوات الحنك للمجموعة الكبرى أو لصفة التفشي التي تقرب بها إلى مخرج اللام كما يقول القدماء من علماء الأصوات»[٨]، ومما هو معروف في علم اللغة أن «اللام صوت أسناني لثوي جانبي مجهور»[٩].

---

(١) الأحقاف: ٢٨.
(٢) النساء: ١٥٦.
(٣) الفتح: ١٢.
(٤) الأنبياء: ١٨.
(٥) الكهف: ١٠٣.
(٦) الرعد: ١٦.
(٧) شرح ابن القاصح، ص١٢٢-١٢٣، والنشر (٢/ ٦، ٧، ٨).
(٨) الأصوات اللغوية، ص١٤٨.
(٩) علم الأصوات، د/ كمال بشر، ص١٢٩.

(٥) ظواهر إدغام متفرقة:

أذكر هنا ظواهر متفرقة في القرآن مما اختلف القراء حول إدغامه وإظهاره مبينًا موقف ابن عامر من ذلك. وقد ذكرت كتب القراءات هذه الظواهر تحت عنوان «حروف قربت مخارجها»[١] وسبب هذه التسمية أن الحرفين اللذين يدغم أولهما في الآخر متقاربان في المخرج.

وفيما يلي أُبيِّن المواضع التي أدغم فيها ابن عامر:

أولًا: إدغام الثاء في التاء:

فقد أدغم هشام الثاء في التاء في قوله تعالى: ﴿ أُورِثْتُمُوهَا ﴾[٢]، أما ابن ذكوان فقد قرأها بالإظهار[٣]، وهنا يتأثر صوت الثاء بالتاء فينتقل مخرج الثاء من الرخاوة إلى الشدة ليناسب التاء لأنه صوت شديد أو انفجاري.

ثانيًا: إدغام الثاء في الذال:

أما الثاء في الذال فقد أدغمها ابن ذكوان وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وقالون في أحد وجهيه وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ ﴾[٤]، وقد أظهر الثاء هشام وورش وابن كثير وقالون في أحد وجهيه[٥].

وهنا –أي على قراءة الإدغام– اكتسب صوت الثاء الجهر من الذال لأنه «حين

(١) النشر في القراءات العشر (٢/ ٨–٢١).
(٢) الأعراف: ٤٣، والزخرف: ٧٢.
(٣) شرح ابن القاصح، ص١٢٥، ١٢٦.
(٤) الأعراف: ١٧٦.
(٥) شرح ابن القاصح، ص١٢٧.

يلتقي صوتان: أحدهما مجهور والآخر مهموس، فيتأثر أحدهما بالآخر ليصبح الصوتان إما مجهورين أو مهموسين، ويغلب على اللغة العربية أن يتأثر الصوت الأول بالثاني، فإذا كان الأول مجهورًا والثاني مهموسًا أصبح الصوتان مهموسين، وإذا كان الأول مهموسًا والثاني مجهورًا أصبح الصوتان مجهورين»[١].

ثالثًا: إدغام الذال في التاء:

فقد أدغم ابن عامر الذال في التاء فيما كان مسندًا إلى ضمير الجمع نحو: ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ﴾[٢]، أو إلى مفرد مثل: ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ ﴾[٣]. ولم يظهر الذال في مثل هذا من السبعة إلا حفص وابن كثير[٤].

وكما اكتسبت الثاء الجهر من الذال في الموضع السابق، فإن الذال هنا على قراءة الإدغام تكتسب الهمس من الثاء، كما أن الذال تنتقل من الرخاوة إلى الشدة حتى تصبح كالتاء فينطق الحرفان تاء مشددة.

رابعًا: إدغام النون في الجيم:

ولعل إدغام النون في الجيم لا يوجد إلا في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥]، فقد قرأ أبو بكر وابن عامر (ننجي) بنون واحدة مضمومة ثم جيم مشددة مكسورة، أي قرأها (نُجِّي المؤمنين)[٦] ولم تذكر كتب القراءات هذا الموضع من مواضع الإدغام؛ أي إدغام النون في الجيم، لأن إدغام النون في الجيم كما يقول

(١) اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس، ص٩٥.
(٢) آل عمران: ٨١.
(٣) الكهف: ٧٧.
(٤) شرح ابن القاصح، ص١٢٦.
(٥) الأنبياء: ٨٨.
(٦) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٣٤).

ابن هشام لا يكاد يعرف[١].

ولذلك فإن هذه القراءات أثارت بعض الجدل، فقد ذكر مكي بن أبي طالب فيها ثلاثة وجوه في العربية مستبعدًا كل هذه الوجوه، فقال: «وحجة من قرأ بنون واحدة أنه بنى الفعل للمفعول، فأضمر المصدر، ليقوم مقام الفاعل، وفيه بُعد من وجهين: أحدهما: أن الأصل أن يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر، فكان يجب رفع (المؤمنين) وذلك مخالف للخط، والوجه الثاني: أنه كان يجب أن تفتح الياء من (نجي) لأنه فعل ماض، كما تقول (رمى – كلم) فأسكن الياء وحقها الفتح، فهذا الوجه بعيد في الجواز. وقيل: إن هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم، وهذا أيضا بعيد؛ لأن الرواية بتشديد الجيم والإخفاء لا يكون معه تشديد. وقيل: أدغم النون في الجيم. وهذا أيضًا لا نظير له، لا تدغم النون في الجيم في شيء من كلام العرب لبُعد ما بينهما، وإنما تعلق من قرأ هذه القراءة بأن هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة، فهذه القراءة إذا قرئت بتشديد الجيم، وضم النون، وإسكان الياء غير متمكنة في العربية»[٢].

فواضح أن مكيًّا لم يرجح وجهًا من الوجوه التي ذكرها، بل انتهى إلى تضعيف هذه القراءة في العربية ولا مسوغ لها إلا وجودها هكذا في خط المصحف، وضعَّف أبو البقاء العكبري أيضًا هذه القراءة، إلا أنه زاد احتمالًا آخر لم يشر إليه مكي، وهو أن أصله (ننجي) بفتح النون الثانية، ولكنها حذفت كما حذفت التاء الثانية في (تظاهرون). ويضعف العكبري هذا أيضًا فيقول: «وهذا ضعيف أيضًا لوجهين: أحدهما: أن النون الثانية أصل وهي فاء الكلمة، فحذفها يَبْعُد جدًّا، والثاني: أن حركتها غير حركة النون الأولى، فلا يستثقل الجمع بينهما بخلاف (تظاهرون)»[٣].

(١) أوضح المسالك لابن هشام الأنصاري، ص٣١٩.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات (٢/ ١١٣).
(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن (٢/ ١٣٦)، طبعة أولى.

وقد استشهد ابن هشام بهذه الآية على حذف إحدى النونين تخفيفًا على افتراض أن النون المحذوفة وهي الثانية مفتوحة، وأن أصل الفعل (ننجي) بفتح النون الثانية[١].

ويبدو أن حمل هذه القراءة على إدغام النون في الجيم هو الأولى من بين هذه الوجوه، لأن ما عدا الإدغام من وجوه قد يصطدم بقواعد عربية ثابتة كما تقدم. وإن كان إدغام النون في الجيم قليلًا في العربية فإن ذلك لا يمنع من ورود القراءة به، وورود القراءة على الأقل الجائز أولى من ورودها على ما يصطدم بالمجمع عليه في العربية، فالإدغام أوضح ما تقدم من وجوه فقد قيل: الأصل (ننجي) بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم فأدغمت النون في الجيم كإجَّاصة وإجَّانة بتشديد الجيم فيهما، والأصل انجاصة وانجاسة، فأدغمت النون في الجيم والإجاصة واحدة الأجاص، والإجانة واحدة الأجاجين، والإجانة هي قصرية يغسل ويعجن فيها[٢].

وتباعد مخرجي النون والجيم لا يمنع من جواز إدغام الأول في الثاني لأن الهدف من الإدغام هو التخفيف، فكما أن إظهار الحرفين المتقاربين في المخرج ثقيلًا فيلجأ الناطق إلى إدغامهما، فكذلك إظهار الحرفين المتباعدين في المخرج قد يكون ثقيلًا أيضًا، فيكون الإدغام وسيلة إلى تخفيفهما، ولعل ما يؤيد ذلك وجود ظاهرة إخفاء النون الساكنة في الجيم في علم القراءات وهو من قواعد التلاوة وهو أيضًا مجمع عليه من جميع القراء.

خامسًا: إدغام النون في الميم:

فقد أدغم ابن عامر النون في الميم في قوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ﴾[٣] ووافقه نافع وابن

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص٣١٩.
(٢) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري (٢/ ٤٠١).
(٣) فاتحة سورتي الشعراء والقصص.

كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي، أما حمزة فقد قرأ بالإظهار[١].

وإدغام النون في الميم أخف من إظهارهما لتقارب الصوتين في المخرج والصفة «فالنون صوت أسناني لثوي أنفي مجهور»، والميم صوت شفوي أنفي مجهور[٢].

سادسًا: إدغام النون في الواو:

فقد أدغم ابن عامر وورش عن نافع وشعبة عن عاصم والكسائي النون من (يس) في الواو من (والقرآن الحكيم) والنون من (ن) في الواو من (والقلم). أما حفص عن عاصم وقالون عن نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة، فقد قرءوا بإظهار النون في هذين الموضعين[٣].

قال سيبويه «وتدغم النون مع الواو بغُنَّة وبلا غُنَّة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون، وإنما منعها أن تقلب مع الواو ميمًا أن الواو حرف لين يتجافى عنه الشفتان، والميم كالباء في الشدة وإلزام الشفتين»[٤]، فإن إدغام النون في الواو كما يقرر سيبويه مقيس على إدغام النون في الميم والباء لأن الواو من مخرجها وهو الشفتان، وإن كانت النون تقلب ميمًا عند التقائها بالميم أو الباء فإنها لا تقلب ميمًا عند التقائها بالواو، لأن الواو تختلف عن الميم والباء في أن الشفتين ينفرجان عند النطق بالواو وينطبقان عند النطق بالميم والباء.

هذه هي مواضع الإدغام في القرآن الكريم على قراءة ابن عامر ومن وافقه، وبعد عرض هذه المواضع حسبما أوردتها كتب القراءات وتحليلها من وجهة نظر علم اللغة الحديث، تجدر الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

---

(١) شرح ابن القاصح ص١٢٦، والنشر (٢/ ١٩).
(٢) علم الأصوات للدكتور كمال بشر، ص١٣٠.
(٣) شرح ابن القاصح ص١٢٦، والنشر (٢/ ١٧، ١٨).
(٤) الكتاب (٤/ ٤٥٣).

(أ) لا بد أن يوضع في الاعتبار أن الإدغام الذي تناوله هذا المبحث إنما هو من قبيل الإدغام الجائز بقصد التخفيف في النطق وليس من قبيل الإدغام الواجب إذ لم يختلف القراء في إدغامه فلم يختلفوا في إدغام المثلين في نحو: (دابة)، (الحاقة)، (الأعز)، (الأذل)، لأن إظهار المثلين في ذلك كله مخالفة لقواعد العربية.

(ب) يتبين من موقف ابن عامر من ظواهر الإدغام في القرآن أنه من الذين يميلون إلى الإدغام في قراءتهم، فما من حرف من الحروف المختلف في إدغامها مثل: تاء التأنيث الساكنة، دال (قد)، وذال (إذ)، ولام (هل – بل) إلا أدغمه ابن عامر أو أدغمه عنه أحد راويه.

(ج) أن الإدغام الشائع في قراءة ابن عامر هو (الإدغام الصغير) وهو كما سبق أن يكون الحرف الأول من الحرفين المدغمين ساكنًا، وليست في قراءته من الإدغام الكبير، الذي يكون فيه الحرف الأول متحركًا إلا مواضع قليلة سبق ذكرها، ومما هو معروف في علم القراءات أن أبا عمرو بن العلاء –من القراء السبعة– هو الذي يُعزى إليه الإدغام الكبير.

(د) لم يختلف القراء حول إدغام النون في الواو إلا فيما جاء في بعض فواتح السور، وهو ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾، ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ أما ماعدا ذلك فإن القراء اتفقوا على إدغامه، فكل نون ساكنة أو تنوين التقت بواو أو ياء مثل: (من يقول، من وراء، سنة ولا نوم) أدغمت النون أو التنوين فيما بعدها من الواو أو الياء.

ولعل اختلاف القراء في إدغام النون في الواو من فواتح السور يرجع إلى أن هذه الحروف المقطعة في فواتح السور قد ينظر إليها على أنها حروف لا ينطبق عليها ما ينطبق على الأسماء، وقد ينظر إليها على أنها حروف تعامل معاملة الأسماء بحيث ينطبق عليها ما ينطبق على الأسماء من إدغام وغيره.

فمن قرأ بالإظهار فلعله راعى الاعتبار الأول، ومن قرأ بالإدغام فلعله راعى الاعتبار الثاني، فقاس فواتح السور على ما عداها من القرآن الكريم.

(هـ) ومما تجدر الإشارة إليه أن إدغام النون في الجيم في قوله تعالى: ﴿ نُجِّي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذي سبق الكلام عنه، لم تذكره كتب القراءات ضمن مواضع الإدغام المختلف عليها، فليس ذلك من الأصول العامة، بل ذكرته كتب القراءات عند حديثها عن اختلاف القراء في سورة الأنبياء.

ولما كانت قراءة ابن عامر (نجي المؤمنين) بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم المكسورة أقرب ما تكون إلى الإدغام، فقد ذكرت هذا الموضع من مواضع الإدغام عن ابن عامر على كثرة ما قيل فيه من تخريجات، وإن كان إدغام النون في الجيم أقل مما سواه من مظاهر الإدغام.

(و) كل ما سبق الكلام عنه من ظواهر الإدغام يتخذ طريقة واحدة في النطق، وتتمثل هذه الطريقة في أن الحرف الأول من الحرفين المدغمين يفنى تمامًا في الحرف الثاني، وأن اللسان يوضع على مخرج الحرف الثاني بحيث ينطق الحرفان حرفًا واحدًا مشددًا من جنس الثاني، كما يقال مثلًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ﴾[1]: (ولقزينا) فهنا لم يظهر لصوت الدال أثر في النطق، بل ذاب تمامًا في صوت الزاي بحيث أصبح الصوتان زايًا مشددة. وهذه الطريقة تنطبق على كل مظهر من مظاهر الإدغام.

(١) الملك: ٥.

تعقيب

تتبعت في هذا الباب الظواهر الصوتية في قراءة ابن عامر بالدراسة والتحليل مبينًا موقف ابن عامر من هذه الظواهر مع ربط ذلك بما قرره علماء اللغة القدماء والمحدثون، وليس هذا كل ما جاء في كتب القراءات مما يسمونه بالأصول العامة، بل تركت ما ليس لابن عامر فيه موقف خاص بين القراء، فلم أتعرض لما ذكرته كتب القراءات من ياءات الإضافة وياءات الزوائد واللامات والراءات وغير ذلك من أصول يكاد القراء يجمعون عليها. أما بالنسبة لياءات الإضافة نحو الياء في (إني – ربي – عبادي) فما من قارئ من القراء إلا وقرأها بالتسكين في مواضع، وبالفتح في مواضع أخرى دون قاعدة معينة تتحكم في هذا المسلك، غير أن الفتح والتسكين في ياء الإضافة المسبوقة بمتحرك لغتان شائعتان في اللسان العربي.

وقد بيَّن أبو علي الفارسي حجة القراءة بالفتح فقال: «حجة من فتح هذه الياء إذا تحرك ما قبلها أن أصل هذه الياء الحركة لأنها بإزاء الكاف للمخاطب، فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء، فإن قلت: إن الحركة في حروف اللين مكروهة. قيل: الفتحة من بينها لا تكره فيها وإن كرهت الحركتان الأخريان، ألا ترى أن القاضي ونحوه يحرك بالفتح كما تحرك سائر الحروف التي لا لين فيها، أوَلا ترى أن الياء في غواشي ونحوها تثبت في النصب ولا تحذف كما تحذف في الوجهين الآخرين فتجري في النصب مجرى مساجد ونحوها من الصحيح، فكذلك الياء ... ومما يدل على استحقاقها التحرك بالفتح أنها إذا سكن ما قبلها اتفقوا على تحريكها بالفتح نحو: هذا بشرايَ، وغلامايَ، وهذا قاضيَّ، ورأيت غلاميَّ. فاجتماعهم على تحريكها بالفتح في هذا النحو يدل على أن ذلك أصلها إذا تحرك ما قبلها»[1].

(١) الحجة في علل القراءات السبع (١/ ٣١٤، ٣١٥).

وسوف يأتي الكلام عن المنادى المضاف إلى ياء المتكلم في الدراسة النحوية إن شاء الله.

وهذا أيضا ينطبق على موقف القراء من ياءات الزوائد.

والمقصود بياءات الزوائد هي الياءات في أواخر الكلمات سواء كانت ياء إضافة أو ياء الكلمة، وسميت زوائد لأنها محذوفة في خط المصحف، وإن كان اختلاف القراء في ياءات الإضافة يدور حول فتحها وتسكينها، فإن اختلاف القراء في ياءات الزوائد يدور حول إثباتها وحذفها «وهي على ثلاثة أقسام: قسم من ياءات الإضافة التي تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت بالأفعال نحو: هداني واتقوني واخشوني، وقسم لا تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت بالأسماء نحو: وعيدي ونكيري ونذيري، وشبهه. فهذان قسمان، الياء فيهما ياء إضافة، أصلها الزيادة. والقسم الثالث من الزوائد أن تكون الياء فيه أصلية، لام الفعل، وذلك نحو: الداع والهاد والواد، وشبهه. وكلها حذفت الياء فيها من المصحف استخفافًا، لدلالة الكسرة التي قبلها عليها وهي لغة للعرب مشهورة»[1].

وموقف ابن عامر من ياءات الزوائد كموقفه من ياءات الإضافة، فهو يقرأ بإثبات الياء في مواضع، وبحذفها في مواضع أخرى.

أما من حيث الراءات فإن ابن عامر يتبع فيها الأصل تفخيمًا وترقيقًا، والأصل أن الراءات تغلظ وتفخم ما لم تنكسر الراء، فإن انكسرت غلبت الكسرة عليها فرُققت[2].

كذلك لا يخالف ابن عامر الأصل في اللامات فهو يفخم اللام من لفظ الجلالة

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي (١/ ٣٣١).
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٩.

فقط إن لم تُسبق بكسرة، فإن سُبقت بكسرة رققها، وهذا مجمع عليه. أما تغليظ اللام أو تفخيمها بعد حرف من حروف الإطباق كالصاد والظاء والطاء والضاد فقد تفرد به ورش عن نافع[١].

خلاصة الأمر: أن هذه الظواهر الصوتية تكاد تكون أصولًا مقررة في علم القراءات، وموقف ابن عامر منها كموقف الجمهور لم ينفرد منها بظاهرة خاصة. ولعل الإشارة إليها هنا والدراسات التي قدمت فيها تغني عن إفرادها ببحث مستقل.

وبعد .. فمما تقدم في هذا الباب يمكن استخلاص عن النتائج الآتية:

(أ) أن مذهب ابن عامر في الهمزة المفردة هو تحقيقها بوجه عام في القرآن إلا في مواضع محددة ترك فيها الهمز نحو: (النبي – النبيين – الأنبياء – النبوة – بادي الرأي – ريا – موصدة – البرية) وقد سبق الكلام عن هذه المواضع، ووضحت أن هذه الكلمات يحتمل أن تكون من أصول مهموزة، ويحتمل أن تكون من أصول غير مهموزة.

(ب) أما الهمزة المتطرفة فإن ابن عامر يحققها أيضًا إلا إذا وقفت عليها، ففي هذه الحالة يحققها ابن ذكوان ويخففها هشام على نحو ما سبق.

(ج) إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة كأن تدخل همزة الاستفهام على كلمة مبدوءة بهمزة، فلابن عامر فيها تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وله أيضًا إدخال ألف أو مدة بين الهمزتين على اختلاف رواته عنه في ذلك.

(د) ومن حيث المد والقصر، فإن ابن عامر سلك مسلكًا وسطًا بين القصر

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٨، ٢١٩.

والإشباع، بل يمد كلًّا من المتصل والمنفصل مدًّا متوسطًا قدَّره العلماء بأربع حركات أو ألفين.

(هـ) أما هاء الكناية، فإن ابن عامر له فيها ثلاثة أوجه: الإسكان والاختلاس والإشباع على تفصيل في ذلك كما سبق.

(و) ومن حيث الفتح والإمالة، فإن الفتح عنده هو الأصل والأكثر. وقد أمال في مواضع محددة في القرآن ذكرتها في موضعها وبينت أسبابها على أنه شارك في إمالة بعض الحروف في القرآن كإمالة الراء من (رأى)، وإمالة بعض الحروف من فواتح السور كالراء من (الر) والحاء من (حم).

(ز) أما من حيث الإظهار والإدغام فإن الإدغام هو الأصل والأكثر في قراءته ولكنه الإدغام الصغير كما سبق.

(ح) كما تبين أيضًا أن ابن عامر يميل إلى الضم عند تحريكه للساكن تخلصًا من التقاء الساكنين ولا يميل إلى الكسر.

(ط) ويمكن القول من تتبع خصائص النطق عند ابن عامر أن قراءته إلى خصائص اللهجة البدوية أقرب منها إلى خصائص اللهجة الحضرية، فإن تحقيق الهمز والإدغام والميل إلى الضم وبعض أنواع الإمالة عنده لعل ذلك كله يتضح في لهجة البدو أكثر من لهجة الحضر.